الجزء ١٢ المجلد ١٠



(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٣٠ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٩ هـ

١٢٠

وليمة ابن واسانة

- ٢ -

فأول ما افتتح به ابن واسانة قصيدته وصفه للمصيبة التي نزلت به من جراء هذه الوليمة فقال :

(من لعين تجود بالهملان والقلب مدله حيران)

(يا خليليّ اقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتي وارحماني)

(من عذيري من دعوة اوهنت عظمي وهدت بهولها أركاني)

ثم وصف كيف احتشد الناس على اختلاف أجناسهم من اجل الدعوة فقال :

(ضرب البوق في دمشق ونادوا لشقائي في سائر البلدان)

(النفيرَ النفيرَ بالخيل والرَجْـ ـل الى بيت ذا الفتى الواساني)

(جمعوا لي الجموع من جيل جيلا نَ وفرغانة ومن ديلمان)

(ومن الروم والصقالب والتر ك وخلقاً من بُلْغَر والّلان)

(ومن الهند والطماطم والبَرْ بر والكيلجوج والبيلقان)

(لم يخلّوا ممن عددت من الآ فاق من مسلم ولا نصراني)

(والبوادي من الحجاز الى نجـ ـد معديّها مع القحطاني)

هذه الأبيات تتضمن درساً في الجغرافيا . و (الكيلجوج) بحثت عنه فلم اهتد الى معرفته فلعل الكلمة محرفة . واما (اللان) فهي كورة بين ارمينية و بحر الخزر . و (البيلقان) بزيادة ياء بعد الباء اسم مدينتين ذكرهما المقدسي في جغرافيته (أحسن التقاسيم) احداهما

في ارمينية والأخرى في آذربيجان . و (بلغار) هي مدينة الصقالبة الواقعة في اقصى الشمال من بلاد الروسية يذكرها فقهاء الاسلام في كتبهم عند ذكر أوقات الصلاة وتحديدها : فان الشمس لا تكاد تغرب في (بلغار) حتى تشرق بعد اقل من ساعة . فهل يصلي مسلموا تلك البلاد صلاة العشاء او هي قد سقطت عنهم بسقوط وقتها — خلاف بين الفقهاء . وربما سميت بلغار البلقان بلغاراً لنزول مهاجرين من بلغار الصقالبة فيها فسموها باسم بلادهم الاصلية .

وبعد ان وصف (ابن واسانة) المدعوين من جهة أجناسهم عاد فوصفهم من جهة عاهاتهم وعيوب خلقتهم فقال :

(كل شكل : فمن طوال رمن حدْ ب ِ قصار ِ والحول والعوران)
(وشيوخ مثل الفراخ وشبّا ن ِ رحاب الأشداق والمصران)
(معدٌ جوّعت ثلاثين يوماً بسلاح الأضراس والأسنان)

ثم وصف زمن رحيلهم وتعجيلهم بالقدوم اليه فقال :

(رحلوا من بيوتهم ليلة المرْ فع ِ من أجل أكلة ٍ مجّان)
(يركضون البريد تسعة أميا ل ٍ بنص ّ الوجيف والزّملان)

(الوجيف) و (الزّملان) نوعان من السير السريع و (البريد) دواب البريد فالضيوف كانوا يشبهونها في السرعة . وقد نبهنا صديقنا الاستاذ فارس بك الخوري الى نكتة لطيفة : ذلك ان الشاعر بذكره (ليلة المرفع) كأنه يتعجب الناس من النصارى الذين تركوا ليلة مرفعهم وهي مقدمة لعيدهم الكبير وأسرعوا الى الوليمة شرهاً او عيثاً في طعام ابن واسانة .

ثم وصف وصولهم وشروعهم في التفتيش عما هيئ لهم ليطمئن قلبهم فقال :

(لستُ أنسى مصيبتي يوم جاؤو ني وقد غصّ منهمو الواديان)
(أشرفوا لي على زروع ٍ وأحطا ب وبيت من خبزه ملآن)
(آبن ٍ فارس ولحم ٍ طري ٍ وقدور تغلي على الدّيكدان)
(وشواء من الجداء ومعلو ف ِ دجاج وفائق الحملان)
(وشراب ألذّ من زورة المعْ شوق بعد الصدود والهجران)

قوله (وقدور تغلي على الدبكدان) في (اليتيمة) (الداركان) وفي (معجم البلدان) (الداركان) بالراء وهما خطأ والصواب (الدبكدان) كما قلنا وهي كلمة فارسية مركبة من (ديك) بمعنى قدر و (دان) أداة ظرفية مثل (دان) في شمعدان ومعنى (الديكدان) المنصب الحديدي الذي يوضع عليه القدر على النار . وقد لفظهـا (ابن واسانة) باصلها الفارسي (ديكدان) بالكاف ومثله المقدمي في كتابه (أحسن التقاسيم) الذي ألفه سنة (٣٧٥ هـ) وهو معاصر لابن واسانة فقد قال في ص ٣٦٤ من طبعة اوربا في صفة سد يأجوج ومأجوج : « وفي احد الحصنين آلات البناء التي بني بها السدّ من قدور الحديد والمغارف على كل ديكدان اربع قدور مثل قدور الصابون » . هكذا لفظها ابن واسانة والمقدمي . اما علماء اللغة فقد كتبوها في معاجمهم بالقاف هكذا : (دقدان) لتكون على وزن من الأوزان العربية (فعلال : شملال) ولا يوجد في اللغة وزن (فيعلال) قال صاحب القاموس (والعُدَّة دقدان القدر) اي ان معنى كلمة (العُدَّة) عند العرب هو الدقدان الذي توضع عليه القِدْر .

واختلاف الأدباء واللغويين في لفظ (ديكدان) او (دقدان) راجع الى الخلاف بين سيبويه والجوهري : فالأخير اشترط في تعريب الكلمة ان تكون على أوزان العرب وسيبويه أحسن الله اليه لم يشترط هذا الشرط المتعب المُنْصب .

ثم وصف ابن واسانة احد المدعوين الذي سماه الهاشمي وشرهه العجيب فقال :

(يقـدم القوم هاشميٌ هريت الشـ ـدق رحب المِعى طويل اللسان)
(هو نمس الدجاج والبط والوزّ وذئب النعاج والخرفان)

ويظهر ان هذا الهاشمي هو غير الشريف ابي القاسم واخيه الفضل اللذين يقول فيهما :

(والشريفان أشرفا في خلال الـ ـخيل في موكب من الحبشان)
(فابو القاسم الكبير على طِرْ فٍ كميت أقبّ كالسرحان)
(واخوه الصغير يعترض الخيـ ـلَ على قارحٍ عريض اللّبان)
(وهما يهويان بالسوط والزجـ ـل الى ما يسوء في مسرعان)

وكأن قائلاً يقول له : ولماذا إذن لا تشتمها ؟ فأجاب :

(أيُّ قلبٍ يُطيق شتم بني خيـ ـر البرايا وأكرم النسوان)

(غير اني يوم القيامة اشكو هم الى الحرة الحَصان الرَزان)

(وأنادي يا بنت خير النبيـ ـين ويا أم أكرم الفتيان)

(اي شيء صنعتُ بابنيك حتى غزواني بالسود والبيضان)

ثم جاء الدور للشمولي فوصفه قائلا :

(والشموليُّ حلقـه حلق ترّا س عريض الاكتاف عبل[1] اليدان)

(لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ ـن عبوساً في صورة الغضبان)

(كالعُقاب الغرثان يقتنص اللحـ ـمَ ويهوي الى طيور الخوان)

ووصف أديباً وآخر كاتباً كانا من جملة الضيوف فقال :

(والأديب الذي كنت اعتدُّ غزا ني للحين فيمن غزاني)

(وكذا الكاتب الذي كان جاري وصديقي ومشتكى أحزاني)

(غيّرته الايام حتى أتاني جائماً للشقاء مذ سنتان)

(كلما شقّق الفراريج شقَّقـ ـتُ لغيظي من فعله قصاني)

(وهو سيف امره مجدٌ رخيٌّ الـ ـبال لم يعنه الذي قد عناني)

(مُخزَهِدٌ[2] كالسوس في الصوف في الصيـ ـف بقلب خالٍ من الايمان)

ثم خاطب ابن المبشر فقال :

(قلت قل لي يا ابن المبشر ما شأ نك من بين من غزاني وشاني)

(ليس هذا من شهوة الاكل هذا من لهيب البغضاء والشنآن)

وكان في المدعوين مدعوٌّ سماه (الفيلسوف) وهل هو فيلسوف حقاً او انه يتهكّم به تهكماً وصفه فقال :

---

(١) قوله عبل اليدان بالالف بدل الياء وارد على لغة من يلزم المثنى الالف كقوله :

(انّ اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها)

(٢) اي مسرع مجد .

(قلت للفيلسوف لما غدا في الأ   كل يغزو كعنتر الشجعان)

(ليت شعري أمن رسائل بقرا ــ طٍ تفلست او بني يونان)

ثم حمل حملةً شديدة على احد المدعوين فوصفه باقبح الأوصاف من دون ان يسميه فقال :

(ان من أعظم المصائب يا قو   م بلائي بذلك الطرمذان)

(الطرمذان) هو الذي يقول ولا يفعل ويمدح نفسه بالباطل وهذه الكلمة تصلح ان تقوم مقام كلمة (شارلاتان) الافرنسية . واذا اعترض علينا بان كلمة (الطرمذان) ثقيلة فنقول ان الذي يمدح نفسه بالباطل ثقيل ايضاً والثقيل الممقوت جدير بكلمة ثقيلة مثله .

ثم وصف الشاعر ذلك الطرمذان فقال :

(رجل كالفنيق[1] فدمٌ بلا لـ ـبٍّ طويل في صورة الشيطان)

(يقفا كالعمود يستعذبُ الصّفـ ـعَ ورأس أصمّ كالسندان)

(واسع الحلق ناقص العقل والديـ ـن غليظ الطباع كالصوان)

(يبلع المطجنـات بلعاً بلا مضـ ـغٍ ويحسو النبيذ كالثعبان)

(لا تمتني يا ربّ حتى أراه   قد تدلى وعنقه شبران)

هذا دعاء عليه بالشنق لان المشنوق هو الذي يتدلى وتطول عنقه .

و يظهر ان الضيوف صحبوا زامراً ومغنياً لا يحسنان العزف فقال يهجوهما :

(وأتوني بزامرٍ زمره يحكـ ـي حُباقَ العبيد والرعيان)

و (الحباق) له معنى لا يناسب التصريح به فليراجعه طلابنا النجباء في كتب اللغة .

(ومغنٍّ غناؤه يطلق البطـ ـنَ و يأتي بالقيْ والغثيان)

ثم ان الشاعر هجا ضيوفه صفقةً واحدة فقال :

(قصدت هذه الطوائف حرا   يا لهتكي وذلتي وامتهاني)

(قلتُ ماشأنكم ؟ فقالوا أغثنا   ما طعمنا الطعام منذ ثمان)

(١) الفنيق الفحل من الابل والفدم الاحمق البليد .

(وأناخوا بنــا فيا لك من يو م عبوس عصبصب أرونان)

(عصبصب أرونان) اي صعب شديد . واستعمال (ابن واسانة) لكلمات اللغة يدل على انه راسخ في اللغة العربية خبير بفصيحها وغريبها .

(تركوني يا قوم أجرد من فرخ وأعرى ظهراً من الأفعوان)

(أكلوا لي من الجداء ثلاثين حنيذاً بالخل والزعفران)

(الحنيذ) الجدي المشوي .

(اكلوا ضعفها شواءً وضعفيها طبيخاً من سائر الألوان)

(اكلوا لي تبالة تبلت عة لي بعشر من الدجاج سمان)

لعل التبالة هي ما نسميه اليوم متبّل .

(اكلوا لي مضيرة ضاعفت ضر سيه بلحم الدجاج والجديان)

(المضيرة) عند العرب لبن حامض يطبخ باللحم فلعلها ما نسميه اليوم لبنية او اللبنيـة يكون فيها أرز عادةً والمضيرة لا أرز فيها فهي إذن الشاكرية .

(اكلوا لي كشكية كشكيشت قلـ بي وهاجت لفقدها أشجاني)

والكشكية هي الكشكة نفسها في الراجح .

(اكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ ـر طرياً من أعظم الحيتان)

يظهر ان محصول (بردى) من السمك منذ الف سنة كان اكثر منه الآن .

(اكلوا لي من القريشاء والبر ني والمعقلي والصرفان)

لعل (القريشاء) هي ما نسميه اليوم قريشة وهي ضرب من الجبن [illegible] يكون [illegible] غير متماسك و (البرني) أجود التمر . اما (المعقلي) و (الصرفان) فلم اعرفها .

(اكلوا لي من الكوامخ والجو ز معاً والخلاط والأجبان)

(الكوامخ) المشهيات من الاطعمة و (الخلاط) عند الدماشقة اليوم ضرب من المشهيات ايضاً يتخذ من الشوندر وابازير أخرى .

(ومن البيض والمخلل ما تم جز عن جمعه قرى حوران)

(بذروا لي من السفرجل والتفـ ـاح والرازقي والرمان)

(والرياحين ما رهنت عليه جبني عند احمد الفاكهاني)

(الرازقي) و يسمى الملاحي (بالتخفيف والتشديد) ضرب من العنب ابيض طويل الحب ولعله المسمى اليوم (زيني) ٠

وهنا إشكال : وهو ان الوليمة كانت في عيد المرافع وهذا العيد يكون في آخر الشتاء عادة فكيف وجد السفرجل والتفاح والعنب في جمرايا في ذلك الوقت ٠ اما الرمان فيمكن خزنه الى ايام الشتاء ٠ او لعل الذي اكلوه معقود التفاح والسفرجل وزبيب العنب لا هي نفسها :

(ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا س ثمانين من معيز وضان)
(ما كفاهم تذبيحهم غنم القر ية حتى أنحوا على الثيران)
(ذبحوها والدمع يجري على خد ي انسياباً مثل انسياب الجمان)
(اكلوا كل ما حوته يميني وشمالي وما حوى جيراني)
(ثم قالوا : هلمّ شيئاً فناديـ ت غلامي: قم ويك خبي حصاني)

ولكن هل سكت الضيوف عن مضيفهم الذي سبهم كل هذا السب ؟ كلا بل كالوا له بالكيل الذي كال لهم وأزيد . وقد وصف ذلك فقال :

(فتبالوا عليّ شتماً ولعناً واستباحوا عرضي بكل لساني)
(من له قدرة عن الهجو يهجو ني ومن كان مفحماً يلحاني)

وبعد ان فرغوا من الطعام والالتهام صدرت عنهم أعمال ممقوتة لا تليق بالكرام وقد وصفها بقوله :

(ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنتي بكسر الاواني)
(ثم قاموا الى الجلاهق والبا شق والاحابيل والزربطان)

يعني انهم قاموا الى صيد مافي القرية من الطيور ليأكلوها فوق ما اكلوا ٠

و (الجلاهق) بندق من طين يرمى به الطير و (الأحابيل) الشباك و (الزربطان والزربطانة) حرفها عوام زمانهم عن (زبطانة) وهي قناة جوفاء كالقصبة توضع فيها سهام صغار ينفخونها نفخاً في صيد الطيور فلا تكاد تخطئ ٠ ومازالت الزربطانة والجلاهق في خدمة الانسان حتى خلفتها البندقية ٠

(فرأيت الحمام بعضاً على الأر ض وبعضاً ملقىً على الاغصان)
(ورأيت الدجاج في وسط القر يةِ مُعْيِيَ مكسَّر السيقان)
ثم وصف تنظيفهم لأيديهم من دسم الطعام فقال :
(اكلوا ما ذكرت ثم أضاعوا يا شقائي حملاً من الأشنان)
(ومن المحلب المطيَّب بالبا ن وماء الكافور سبع َبراني)
ذكر الأشنان ولم يذكر الصابون مع انه كان في زمنهم . لكنه ذكر مكانه منظفاً آخر لا عهد لنا به . وهو المحلب المطيَّب بالكافور وبالبان . والبان اسم شجر ورقه كورق الصفصاف فهل هو منظف مطيب يا ترى ? او المراد بالبان بخور الحصى لبان ? وقد قال انهم استعملوا من هذا المحلب المطيب سبع َبراني اي سبع قدور من خزف .
ثم عاد الشاعر فذكر من تخريبهم وعيثهم وعربدتهم مالا يكاد يصدق فقال :
(وأقاموا سُوّاسهم والمُكّار بـ ـن الى ان سمعت صوت الأذان)
(ينقلون الاحطاب من حيث وافو ها : فبالفأس ضاع لي غيضتان)
(جوزةٌ كان حملها أحسن الحمـ ـل وكانت ظليلة الأفنان)
(كان لي في فنائها منزل رحـ ـبٌ أنيق يحفه نهران)
(ورياض مثل البرود علاها الـ ـطلُّ بين البهار والأقحوان)
(وطيور ما بينها تتغنى بجميع اللغات والألحان)
(هي كهفي ومستظلي من الحـ ـرّ وذخري لنائبات الزمان)
(أحرقوها يا قوم ظلماً فكانوا يرشقون الأحطاب بالنيران)
(كسروا السكر فاختلطتْ فقالوا كيف تبقى بغير شاذروان)
(قطعوا اللوز والسفرجل قضبا ناً ومالوا بها على غلماني)
(والنواطيرَ مددوا وعلوهم حنقاً بالعصيّ والقضبان)
ثم ذكر ان ضيوفه أفحشوا في مطالبهم : فقد اقترحوا عليه ان يأتيهم بصبيان القرية ونسائها كي يقوموا بخدمة خصوصية فطار عقل شاعرنا الواساني وصرخ في وجوههم قائلاً ما بقي على جراياا الا ان نقدم لكم هذه الخدمة المغشوشة ونظم في ذلك أبياتاً رأينا ان نضرب صفحاً عن ذكرها .

ثم عاد القوم الى عربدتهم وإفسادهم في القرية فقال في حكاية ذلك :

(ثم راحوا بعد العشـاء الى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان)

(كانــ لي مقعدٌ وفرش مليح فوقه مطرح من الميساني)

(المطرح) المفرش ونقول اليوم (طراحة) والميساني نوع من الثياب يصنع في ميسان وهي كورة بين البصرة وواسط ٠

(وبساط من أحسن البسط مذخو رٌ لعرسٍ او دعوةٍ او ختـان)

(غرقوه بالبصق والبول والقيـ ـئ فأضحى وسعره بعرتان)

(سرقوا جبتي وسبني وسكيـ ـني وخفي وجوربيّ وراني)

(الران) شبه الطاقات التي تصان بها الساقان وتكون من جلد غالباً ٠ وقد قرر المجمع العلمي استعمال الران مكان كلمة (الطاقات) التركية في ما قرر من الألفاظ ٠

(أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونه ولا ميزانـ)

(خلتُ داري ياإخوتي الجامع الامـ ـويّ ليلاً بالنصف من رمضان)

وبعد هذا التعب كله أما أخذ القوم لانفسهم راحة ؟ قال :

(ثم لما انتهت بهم شدة البطـ ـنة خرّوا صرعى على الاذقان)

(هوّموا ساعةً كتهويمة الخا ئف في غير ارضه الفزعانـ)

(الفزعان) الخائف ونحن اليوم نستعمل هذه الكلمة وهي غير قاموسية اي غير موجودة في قواميس اللغة وانما الموجود فيها رجل فَزِع وفازع ٠ فهل يصح لنا ان نستعمل كلمة فزعان استناداً الى استعمال الشاعر الواساني لها ؟ مسألة تحت الدرس في المجمع العلمي ٠

ثم وصف الشاعر ما كان من ضيوفه بعد ان هبوا من نومهم يطلبون طعام الصبحية فقالــ :

(ثم قاموا ليلاً وقد طلع النـّسـ ـرُ ومال السماك والفرقدانـ)

(يصرخون الصَبوح ياصاحب البيـ ـت فأبكوا عيني وراعوا جناني)

(سحبوني من عُقر داري على وجـ ـهي كأني أدعى الى السلطانـ)

(بقلوبٍ أشدّ حراً من الجمـ ـر وأقسى من صخرةٍ صوّان)

ويظهر ان صنيعهم هذا أفزع نسوة بيته ولا سيما ابنه الصغير (ميمون) فاستعطفهم عليه قائلاً :

(قلت : رقوا لذلك الطفل ميـ ـ ـونٍ ولا تيتموه يا إخواني)
(ما ثني اكلة بقتل غريب ذي عيال ناء عن الاوطان)

ثم ذكر من سوء صنيعهم به ما لا يكاد يصدق فقال :

(علّقوني بفرد رجلٍ الى السقـ ـف وعُذّبت ليلتي بالدخان)
(لو رآني ابي وأمي معكو ساً ورجلاي بالعصا تنقران)
(بكيا رحمةً وفكّا وثاقي من يديهم بكل ما يملكان)

ولما رأى الشاعر ما حاق به من البلاء استغاث بالشريفين فقال :

(قلت للفضل والشريف اغيثا ني ، وموتي قد حل بي خلّصاني)
(واذكرا عشرتي وودّي واخلا صي وحنّا علي واستبقياني)
(أنتما ان قتلتماني وحق الـ ـ ـله من أجل اكلة تندمان)
(أشهد الله ليس عندي مشرو ب ولا في خزانتي لقمتان)
(فاستشاطا غيظاً عليّ وقال الـ فضل قل لي بأيّ عين تراني)
(أنا من أحمق البرية ان صد قتُ ما تأتليه من أيمان)

ثم رقّ له الفضل وخلصه من الشنق ولكن على هذه الصورة المزعجة :

(قطع الحبل فانقلبت على رأ سي وظهري واندق لي ضلعان)

وبعد ان يئس المدعوون من طعام الصبوح شفوا قلبهم بنهب التبن فقال واصفاً ذلك :

(ثم لما تمكّن اليأس خلو ني ومالوا ميلاً على الاتبان)
(وأجيري مسخر ينقل الأتـ ـبانَ بالذل عاريَ الجثمان)
(وهو يبكي . فقلت ويحك إما تصـ ـنع بالتبن بعد موتة الفدان)

وهل اكتفوا بالتبن ؟ كلا بل .

(سرقوا السُرج والقناديل والزيـ ـت وأقداحنا وكل القناني)
(لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصاً مربط الأردان)

(قد حشاه لحماً وطيراً وسبعيـ ـن رغيفاً من اكبر الرغفان)

كل هذا صنعه ضيوفك بك يا ابن واسانة . ولكن اما كان يوجد فيهم من يرحمك ويعطف عليك ؟ فأجاب .

(ما رثى لي سوى المبارك من ضُرْ يـ وذاك القُصيّر الدحدحاني)

(رفّهاني وخفّفا الثقل عني فهما من ملامتي سالمان)

لم أجد في كتب اللغة (الدحدحاني) بمعنى القصير كما استعملها الشاعر هنا . نعم وجدت : الدودح والدحدح والدحدحة والدحداح والدحداحة والدحادح والدحُيدحة — كل ذلك بمعنى القصير . فكلمة (الدحدحاني) مما ولده الشاعر الواساني . او ان كلمة الدحدحاني محرفة عن (الرحرحان) برائين وهو من الاشياء الواسع المنبسط القريب القعر : يقال قدح رحرحان اي قريب القعر مع سعة فيه .

ثم ان صاحب الوليمة ختم قصيدته بالسؤال من حضراتكم أيها السادة قائلاً :

(هل سمعتم فيما سمعتم بانسا ن عراه في دعوة ماعراني)

كلاّ والله ! فان ضيوفاً يشنقون مضيفهم الى السقف ثم ينقرون رجليه بالعصا — أمر لم نسمع بمثله الا عن ضيوفك .

جمرايا اليوم

هذا ختام الكلام على وليمة ابن واسانة التي أولمها في قرية جمرايا منذ الف سنة وقد استنتجنا من القصيدة ان جمرايا كانت في ذلك العهد على جانب من العمران وتوفر أسباب الرزق . اما اليوم فهل هي كذلك ؟ كلاّ ! وانما أصبحت مزرعة صغيرة أضيفت معظم أراضيها الى قرية (الهامة) وغطّى اسم الهامة على اسمها . فنسيها اهل دمشق حتى بنى الاستاذ الخطيب داره فيها كما قلنا . وأخذ اسم (جمرايا) من يومئذ يدور على الأفواه وجعل معارف الاستاذ واصدقاؤه يقولون ذهب الشيخ الى جمرايا . وعاد من جمرايا . وبات في جمرايا .

ثم درى الاستاذ الخطيب اني أهيئ محاضرة في هذا الموضوع أريد القاءها في ردهة المجمع فقال لي :

أما وقد عزمت على إحياء ذكر (جمرايا) فإني انا ايضاً أريد ان أحيي ذكر وليمة ابن واسانة ·

ففي ضحى يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ تشرين الاول من هذه السنة (١٩٢٨ م) كانت السيارة تجري بي مع صاحبي المعالي وزيري المعارف والمالية الى (الربوة) (فدمر) (فالهامة) ثم عاجت بنا من جهة اليمين نحو جمرايا فتسللت اليها من طريق ضيق متعوّج غير معبّد ولا صالح لسير السيارات ، حتى وصلنا الى نهر بردى واذا عليه جسر جديد بني منذ بضع سنوات ·

ثم جرى بنا الاتومبيل صُعُداً في سفح هضبة · واذا دار تلوح لنا من بعيد · واذا بياضها الناصع يتلألأ في خضرة تلك الرياض كقطعة ماس على بساط زبرجد · واذا هي دار الاستاذ الخطيب ، واذا هو يستقبلنا ببشاشته وأنسه المعهودين ، واذا لديه طائفة من أعيان دمشق ، واذا وليمة ابن واسانة تجددت بعد الف سنة من الزمان (وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون) وهكذا كانت لنا في دار الاستاذ الخطيب · وليمة ذات رفاغية وعيش خصيب · كان الاستاذ ابن واسانها لكن من دون تبرم بالضيوف · وكان ضيوفه ضيوف ابن واسانة ولكن من دون عربدة ولا إفساد ، ولا تكاليف سمجة دونها خرط القتاد ·

قرية (جمرايا) اليوم أيها السادة ارض ضيقة يحدها الطرف ، وتقتحمها العين ، قناة الفيجة تسيل من فوقها ، ونهر بردى يجري من تحتها ، معظم أشجارها الزيتون وقد امتازت بمحصولها من الزيت الجيد ، وفيها بضعة بيوت لفلاحيها ، وتجري فيها بعض العيون : منها عين القرية وعين الشاعر · ولقد تجولت في جنباتها مستطلعاً طامع آثارها القديمة · فدلّوني على قناة محفورة في الصخر في سفح هضبتها · فاذا سعة فم القناة نحو متر · ولم يبق من تلك القناة الا بقية · ومن آثار القرية قساطل خزف كان يجري فيها الماء كالقساطل المعهودة عندنا · وفوق القساطل على سمك نحو ذراع ارض مبلّطة وبلاطها مرصوف بالفسيفساء وهي أحجار صغيرة كقطع أحجار زهر الطاولة من حيث الحجم والشكل رُصف بعضها الى بعض · ثم على طول الزمان تراكمت الأتربة على الفسيفساء فأصبحت أرضاً زراعية غرست فيها أشجار الزيتون · ويقول فلاحوا (جمرايا) نقلاً عن آبائهم ان

القساطل والفسيفساء هما بقية آثار حمام كان مشيداً في هذا المكان . وقالوا ايضاً ان عين الشاعر الموجودة في قريتهم سميت باسم شاعر كان يأوي اليها و يذكرها في أشعاره. هذا كل ما في جرايا من الآثار القديمة . ومن قصص فلاحيها التي يتداولونها نقلاً عن أسلافهم ان قريتهم كانت في القديم ذات عمران عظيم وان احد أمراء الشام الظالمين زارها فأولم له رئيس القرية وليمة جمعت من ألوان الطعام وصنوف الفواكه ما أثار حسد ذلك الامير الجبار ولاسيما مذ عرف ان كل ما قُدّم اليه على المائدة كان من محصول القرية ومستغلاتها . فرجع الى دمشق وأخذ يعمل على مصادرة مالكي جرايا واستصفاء اراضيها. ولوكان في زماننا لقال : انما فعل ذلك (باسم المصلحة العامة) ومن يومئذ اخذت القرية تتدرّج الى هوّة التعاسة والخراب . وجعل أهلها يرحلون عنها الى القرى المجاورة فتعمر وتخرب هي . ثم لم تقم لها منذ ذلك الحين قائمة .

هذا مايتحدث به فلاحوا جرايا اليوم . و يغلب على الظن ان هذه القصة ليست سوى صدى ما كانوا يسمعونه من أخبار وليمة ابن واسانة المدوّنة في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي. فان القدماء من أدباء دمشق كانوا يزورون جرايا ويتحدثون — على مسمع من فلاحيها — بخبر وليمة ابن واسانة وبقصيدته التي قالها فيها . فعلقت الحادثة في أذهانهم وانتقلت الى أولادهم وأحفادهم على هذا الشكل المحرّف .

اما عين الشاعر فلا يبعد ان يكون المراد بشاعرها التي نسبت اليه هو ابن واسانة نفسه الذي كان له دار وعقار في القرية .

وبعد هذه الجولة في أرجاء جرايا عدتُ عند الغروب الى الهضبة حيث دار الخطيب وأشرفت منها على ذلك المشهد العجيب :

هضاب ورُبى شاخصات للعيان ، شخوص نهود الحسان ، وعلى إحدى هذه الهضبات قرية الهامة ، ويتخلل تلك الهضبات بساتين قرى الهامة والجديدة والأشرفية وغيرها من قرى الوادي . وتتراءى لك من خلال الأشجار قضبان حديد السكة متمعجة تمعج الافعى التي تجدُّ في الهرب وتسعى .

(و بردى كالمُنْصل او صفحة السجنجل)

ثم رجعتْ بي الذكرى الى ما قبلَ الف سنة وقت ان اجتمع ضيوف الواساني في دار الواساني .

وما يدر بنا ان تكون الدار حيث الدار . كما ان الهضاب هضاب والأنهار أنهار ؟
بل ان هذه الشمس التي شهدتها في أفق (جمرايا) تهوي للغروب . أليست هي نفسها التي شهدت وليمة (ابن واسانة) كما شهدت وليمة (ابن الخطيب) ؟

هاتِ أيتها الشمس حدثينا عن تلك الوليمة التي كانت منذ الف سنة ، كما ستحدثين أبناءنا بعد الف سنة عن وليمة اليوم .

قصّي على أحفادنا اخبارنا كما قصصتِ علينا اخبار اجدادنا . صفي لابنائنا الآتين ما نحن عليه الآن ، من التفرق والخِذلان ، وكَلَب الزمان ، وتراكم الأحزان .

قولي لهم ان أجدادكم في القرن العشرين « كانوا [1] في فقر وفاقة ، وتأخر في القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم ، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرّقت كلمتهم ، وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وعما ينفعهم وقنعوا بحياةٍ يأكلون فيها ويشربون وينامون . ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لاحدهم ان يضرّ اخاه لايقصّرُ في إلحاق الضرر به . فجعلوا بأسهم بينهم ، والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم ، يسرحون في مرعاهم ، ثم يعودون الى مأواهم ، والامراء منهم يقطعون ازمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات ، وعليهم فروض وواجبات تستغرق في ادائها أعمارهم ، ولا يؤدون منها شيئًا ، يصرفون اموالهم في ما يقطعون به زمانهم إسرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ، ولكن لا يدخلُ في حسابها شيءٌ يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون ويتنافرون وينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية . فربّ تنافر بين اميرين يضيع أمةً كاملة . كل منهما يخذل صاحبه . ويستعدي عليه جاره . فيجد الاجنبي فيهما قوةً فانية . وضعفاً قاتلاً . فينال من بلادهما -

(١) هذه الجملة من هنا الى قوله (وحفظ الحق من تعدي الاقوياء) مقتبسة من مقال (القضاء والقدر) احدى مقالات جريدة (العروة الوثقى) .

ما لا يكافئه عدداً ولا عدة . شملهم الخوف والذعر . وعمهم الجبن والخور . يفزعون من الهمس . و يألمون من اللمس . قعدوا عن السير الى ما يلحقون به الامم في العزة والشوكة . وخالفوا في ذلك كله اوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين كانوا تحت سلطانهم . يتقدمون عليهم . و يفاخرونهم بما يعلمون ويعملون . واذا أصاب قوماً من إخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لا يسعون في تخفيف مصابهم . ولا ينبعثون لمناصرتهم . ولا توجد فيهم جمعيات ملية ولا اخلاقية . يكون من مقاصدها إحياء الغيرة . وتنبيه الحمية . ومساعدة الضعفاء . وحفظ الحق من تعدي الأقوياء » .

هكذا أيتها الشمس قولي لأحفادنا عنا . وصفي لهم احوالنا ، حتى اذا رأيتهم قد اكفهرت وجوههم . وتقطعت من الأسى قلوبهم . عودي فارفقي بهم . وكفكفي من دمعهم . و بشريهم ايتها الشمس بنهضتنا الجديدة . التي شيدناها على العلم والاتحاد فكانت سبباً لسعادتكم انتم ايها الاحفاد . والسلام .

« المغربي »

عبقرية المتنبي

- ١٤ -

اما أهاجي المتنبيء فتارة كان يهجر فيها ويفحش ، فمن هذا الشكل قوله :

وقد أرى الخنزير اني مدحته ولو علموا قد كان يهجى بما يطري

ومنه قوله :

ابا النتن قد قيدتني بمواعد مخافة نظم للفؤاد مروّع
وقدّرت من فرط الجهالة انني اقيم على كذب رصيف مصنّع
اقيم على عبد خصي منافق لئيم رديء الفعل للجود مدّع

او كقصيدته في ضبّة ، فلا تخرج هذه الأهاجي عما يتشاتم به عامة القوم فقد كان ابوالطيب يباده بها مباذهة دون ان يغطيها باغطية رقيقة تستر شيئاً من سوء القول ولم ينج من هذه الشتائم حي ولا ميت واذا كان الطعن في الميت لا يعدّ من مكارم الأخلاق فالمتنبي لم يتعفف عن هذا الطعن :

ان مات مات بلا فقد ولا اسف او عاش عاش بلا خَلْق ولا خلق
منه تعلّم عبد شقّ هامته خون الصديق ودس الغدر في الملق
وحلف الف يمين غير صادقة مطرودة ككعوب الرمح في نسق

وتارة كان يتهكم في اهاجيه تهكماً امرّ من القذع والفحش والتهكم في الهجاء اشد إيلاماً من السب والشتم واقتل للخصم ، فمنه قوله في كافور :

من علّم الاسود المخصي مكرمة أقومه البيض ام اباؤه الصيد

ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي مثلك الكرم اين المحاجم يا كافور والجلم

ومن هذا الشكل :

ومصر لعمري اهل كل عجيبة ولا مثل ذا الخصي اعجوبة بكرا
يُعدّ اذا عدّ العجائب اوّلا كما يبتدا في العد بالاصبع الصغرى

فلا شك في ان هذا الضرب من الهجاء أعف من كلمات الخنزير والمنافق واللئيم وما شابهها من كلام العامة فهو اشدّ ايجاعاً وأرفع شأناً .

واذا لم يراع المتنبي حرمة كافور في هجائه اياه فقد راعى هذه الحرمة في تعريضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض اثر نفس ثائرة على من تحبه يتنازعها عاملان : عامل الاغضاء على الاذى وعامل التشفي من الغيظ ولكن التشفي غلب في خاتمة الامر على الاغضاء فعرّض المتنبي بتنغيص سيف الدولة وعنته دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شتائم السوقة .

واذا انتقلنا من هذه النواحي كلها : نواحي الغزل والبكاء والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عبقرية المتنبي ارتفعت في هذه الآفاق الى سماء اعلى وصبغت بصباغ خاص .

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لايخلو من بعض المساوئ ، من جملتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المتنبي ، والغلو في بعض مدحه ، واللجوء الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من رونق الجدة والطرافة .

اما تكرار المعاني فمثل مدائح ابي الطيب في هذا التكرار كمثل رواسيم يطبع بها الشاعر اي ممدوح شاء حتى لانكاد نجد فرقاً كبيراً بين ممدوحيه .

فمن هذا النوع وصفه لطبيعة كرم بعض ممدوحيه وهو المشطب الذي قال فيه :

يعطي فلا مطلة يكدّرها بها ولا منّة ينكّدها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطب فقد طبع بها المتنبي سيف الدولة فقال له :

انت الجواد بلا منٍّ ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مذل

ومن هذا التكرار وصفه للشجاعة فقد قال في الكلابي المنبجي :

لما رأوه وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أسلموا الحللا

وهذا القول او مايقرب منه قاله في سيف الدولة :

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول

ومن هذا الشكل قوله في المنبجي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وهذا القول او مايشا كله قاله في سيف الدولة :

فكلما حلمت عذراء عندهم فانما حلمت بالسبي والجمل

والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله في ابي المنتصر الأزدي :

أمريد مثل محمد في عصرنا لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد احداً وظني انه لا يخلق

ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المتنبي :

ومن علي بن عبد الله معرفتي بحمله من كعبد الله او كعلي

نعم الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما اذكره منها هذا البيت الذي قاله المتنبي في جعفر بن كيغلغ :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن اعوذ به مما أحاذره

وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسوسي :

يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وانما رغبت في ذكر انماط من اماديح المتنبي استدلالاً بها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الاماديح ، فلم يكن للمتنبي في مدح بعض ممدوحيه صور خاصة اي لم يصل ابوالطيب الى اعماق الممدوح حتى يستخرج منها صورة خاصة بهذا الممدوح تناسبه ولاتناسب غيره من الممدوحين .

فلنجاوز هذا العيب الى غيره من عيوب مدائح المتنبي ، من هذه العيوب الغلو في وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شموسا
او كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه عبدت فكان العالمون مجوسا

فهذا ضرب من المدح خارج عن الاعتدال حتى ليكاد يكون مبتذلا .

ومن هذه العيوب ورود المتنبي في بعض مدائحه موارد مشتركة يردها ويصدر عنها كثير من الشعراء ، منها قوله :

يفني الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل ابيض وضاح عمامته　　كأنما اشتملت نوراً على قبس

ولكن هذه السيئات قد تشفع لها حسنات المتنبي الكثيرة في مدحه التي انفرد بها فلا يجاريه فيها مجار ، فمنها تصويره لهمة سيف الدولة :

في سبيل العلى قتالك والسلم　　وهذا المقام والاجذام
واذا كانت النفوس كباراً　　تعبت في مرادها الاجسام

ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لواقف　　كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة　　ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت فوقرها　　في الدرب والدم في اعطافه دفع
فأوحدته وما في قلبه قلق　　واغضبته وما في لفظه قذع
بالجيش تمتنع السادات كلهم　　والجيش بابن ابي الهيجاء يمتنع

ومنه مدحه لكافور :

وما كنت ممن ادرك الملك بالمنى　　ولكن بايام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا　　وانت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما　　ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد سابح　　يؤديك غضباناً ويثنيك راضيا

ومنه مدحه لابي شجاع :

ابو شجاع ابو الشجعان قاطبة　　هول نمته من الهيجاء اهوال
تملك الحمد حتى ما لمفتخر　　في الحمد حاء ولا ميم ولا دال
عليه منه سرابيل مضاعفة　　وقد كفاه من الماذي سربال

غير ان الحلبة التي جلّى فيها ابو الطيب انما هي حلبة الوصف ولست اطلق هذا الوصف اطلاقاً وانما أريد به ناحية من نواحيه وهي ناحية المعارك ، حتى قال ابن الاثير في المثل السائر :

« واما ابوالطيب المتنبي فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكَم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال ، وانا اقول فيه قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متاثماً وذاك انه اذاخاض فيوصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اداه عيانه » .

نعم ، هذه هي الناحية التي برّز فيها المتنبي فتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كان لروحه ولطباعه الاثر الابلغ في تبريزه في وصف الحروب وادواتها فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقاً بطبعه ممتزجاً بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واريد بهذه الصورة شغفه بالحروب و نبساطه الى رؤية الدم والشاعر يبدع في المذهب الذي تأنس به نفسه .

ولقد مثّل ابوالطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكأن شعره في هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة فقد حفظ لنا المتنبي لوحاً ناطقاً يفصح عما رسم عليه من غزوات سيف الدولة وغاراته فلم يغادر امراً من امور تلك الحروب الا وضحه حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ومها وصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم ان ينطق بما نطق به شعر المتنبي المشتمل على صور شتى ، فاننا لا نشاء ان نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم الا عرفناه .

فاذا تكلم على عرض الجيش ذكر تجافيف الخيل ومفاضات الفرسان وترائكهم وذكر الرايات والشعار والسلاح المسمم ووصف دربة الخيل فلا يغادر لوناً او شكلاً من الوان الوصف واشكاله ، فكأننا بمحضر جيش متكامل العدة مستتم التعبئة .

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه — على الفارس المرخى الذؤابة منهم
حواليه بحر للتجافيف مائل — يسير به طود من الخيل ايهم
تساوت به الاقطار حتى كأنه — يجمع اشتات البلاد وينظم
وكل فتى للحرب فوق جبينه — من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يديه في المفاضة ضيغم — وعينيه من تحت التريكة ارقم
كأجناسها راياتها وشعارها — وما لبسته والسلاح المسمم
وادبها طول القتال وطرفه — يشير اليها من بعيد فتفهم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحي — ويسمعها لفظاً وما يتكلم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها — فكل حصان دارع متلثم
وما ذاك بخلاً بالنفوس على القنا — ولكن صدم الشر بالشر احزم

فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان ابا الطيب لم يغفل عن ذكر ما يأخذ بمجامع القلوب في عرض الجيوش ، فالذي يستهوي الطرف في هذا العرض انما هي ملابس الخيل وملابس الفرسان وحركات الخيل والفرسان والمتنبي تكلم على هذا كله فما سها عن صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق يفتقر اليه الشعر العربي .

ولكن كلامه على سفن سيف الدولة لا يعد في طبقة كلامه على الجيش فان ادوات الوصف تنقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لنا الا لوناً من الالوان في وصف السفن :

فاسمتها تل بطريق فكان لها — ابطالها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيار مقربة — على جحافلها من نضحه رثم
دهم فوارسها ركاب ابطنها — مكدودة وبقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها — وما لها خلق منها ولا شيم

واذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى نكاد نظن ان الروم ينهزمون برأى منا زرافات ووحدانا :

سراياك تترى والدمستق هارب — واصحابه قتلى وامواله نهبى
اتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلا — وأدبر اذ أقبلت يستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من يكره القنا ويقفل من كانت غنيمته رعبا
وهل رد عنه باللقان وقوفه صدور العوالي والمطهمة القبا
مضى بعد ماالتف الرماحان ساعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقرابين والصلبا

ولقد اكثر من الاشارة الى هرب الروم فكان في كل مرة يشير فيها الى خوفهم يصور الخائفين في صور ناطقة ، فمرة يحلمون بالخوف :

جاز الدروب الى ما خلف خرشنة وزال عنها وذاك الروع لم يزل
فكلما حلمت عذراء عندهم فانما حلمت بالسبي والجمل
ان كنت ترضى بان يعطوا الجزي بذلوا منها رضاك ومن للعور بالحول

ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

وما نجا من شفار البيض منفلت نجا ومنهن في احشائه فزع
يباشر الامن دهراً وهو مختبل و يشرب الخمر حولاً وهو ممتقع

هذا هو الوصف الذي انفرد به ابو الطيب فلا تجاريه فيه أقلام النظراء ففي بيتين من الشعر يعرض علينا صورة الجيش :

وجيش يثني كل طود كأنه خريق رياح واجهت غصناً رطبا
كأن نجوم الليل خافت مغاره فمدت عليها من عجاجته حجبا

وفي بيت من الشعر يصف لنا تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طلول

وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط المناهل بدماء الروم :

واني اهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذ سرت فيها القساطل
ومن اي ماء كان يسقي جياده ولم تصف من مزج الدماء المناهل

ومثل هذا السحر كثير في شعر المتنبي في غزوات سيف الدولة وغاراته ولست اظن ان في شعراء العرب شاعراً يعلو ابا الطيب في هذا المذهب .

وما هذه الروائع كلها الى جنب قصيدته في بناء الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونهـا ... وتعرف اي الساقيين الغمائم
سقتهـا الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنـا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بهـا مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدين بالخطي والدهر راغم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها ... وذا الطعن اساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنـايا حواكم ... فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد ما لهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة ... فما يفهم الحدّاث الا التراجم
فلله وقت ذوّب الغش ناره ... فلم يبق الا صارم او ضبارم
تقطّع ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفرّ من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب اتى الهامات والنصر غائب ... وصار الى اللبات والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى ... وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتخ انك زرتها ... بأماتها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشّيتها ببطونها ... كما تتمشى في الصعيد الأراقم

فأبو الطيب شاعر العوالي والسوابق اذا وصف معركة أفاض في الكلام على الدقائق

كالكلام على سير الخيل وسير الجيش وكالكلام على حسن الثبات وقبح الهزيمة ، كالكلام على هيآت الهازم والمهزوم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى حواس قوية تعمل فيها مشاهد القتال والى خيال مديد يحيي هذه المشاهد . وقد اجتمع للمتنبيء شيء من هذا كله واذا اضفنا ما اجتمع له من قوة الحواس وامتداد الخيال ميله الى الحروب وشهوده اكثر الغزوات والغارات والنشء للبدو في فاتحة امره لم نعجب من انبر يزه في هذا الميدان الذي لم يلحقه به لاحق فاذا خلد ابو الطيب فان معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو وسيف الدولة متلازمان في هذا الخلود فلا يذكر سيف الدولة الا ذكر معه المتنبيء ولا يذكر ابو الطيب الا ذكر معه سيف الدولة فلولا وصف المتنبي لمعارك سيف الدولة لما كان لهذه المعارك صور ناطقة ولولا معارك سيف الدولة لما كانت عبقرية المتنبي تخلد الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة ولكن خوضه معارك سيف الدولة جعل له حظاً اوفى من الخلود فاذا كان الأدب مرآة المجتمع فشعر المتنبيء مرآة غزوات سيف الدولة في بلاد الروم .

واذا كان في وصف المعارك شيء يسير يؤاخذ به المتنبيء فما هذا الشيء الا تكرار بعض الصور في هذا الوصف ، فمن هذا التكرار قوله في بعض قصائده وقد أراد ان يصف سرعة الخيل في سيرها :

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وادنى سيرها سرع

وهذا قريب من قوله :

وخيل براها الركض في كل بلدة اذا عرّست فيها فليس تقيل

ومن هذا النحو قوله وقد وصف همة سيف الدولة :

ولو كانت الخيل حتى لا تحمله تحملته الى اعدائه الهمم

وهذا شبه قوله :

اكلما رمت جيشاً فانثنى هرباً تصرّفت بك في آثاره الهمم

ومنه قوله وقد اشار الى تحريق منازل الروم :

عبرت تقدمهم فيه وفي بلد سكّانه رمم مسكونها حمم

وهذا مثل قوله :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طلول

لكن وحدة هذه المعاني لا تحط من قدر هذا الوصف الجليل .

ولئن مثل ابو الطيب المتنبي ناحية من نواحي « فتى الفتيان في حلب » فانه لم يمثل لنا النواحي كلها من عصر ملك حلب ، فلم نجد في شعر المتنبي ما نجده في شعر البحتري من وصف قصور بني العباس ، ونعيم الخلافة وترفها ، أفكان سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعيم والترف ، ام كان المتنبي غارقاً في الكلام على الجماجم والغلاصم وعلى القساطل والجحافل ، فشغلته دماء لم يرم عن الكلام على شيء من المدامة والاوتار والنغم :

ألهى الممالك عن فخر قفلت به شرب المدامة والاوتار والنغم

فلم يصل الينا شيء من نعيم سيف الدولة الا هذه الصورة التي صورها لنا المتنبي فارانا سيف الدولة جالساً في فازة من الديباج :

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه تجول مذاكيه وتضحى ضراغمه

ومن هذه الأبيات القليلة يتبين لنا ان المتنبي لا يقصر اذا شاء عن التصاوير المشتملة على ألوان براقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر الى مذهب الصق بنفسه واعلق بروحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على ان ما خلفه لنا من وصف شعب بوان يدل على ان عبقريته قد تستهويها الطبيعة في بعض الاوقات فاذا استهوتها الطبيعة اوحت اليها خصائص الالوان فيطبع خياله مشاهدها بطوابع خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها .

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن من الحران

وكيف كان الامر فان ابا الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم البحتري الا ان الوصف الذي يشتمل عليه بعض شعره انما هو وصف دقيق لا يخلو من روح وحياة فلما وصف الحمّى :

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

بضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بانواع السقام
كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها باربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر اذا القاك في الكرب العظام

نفخ فيها حياة فجعل الموصوف بمنزلة شخص ناطق ، ولكن الذي وفق فيه التوفيق انما هو وصف الاسد فقد خاض في دقائق الوصف كلها فلم يغفل الاشارة الى مهابة الموصوف :

وقعت على الأردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا

ولا غفل عن الاشارة الى هيأته :

متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا

ولا اهمل ذكر عيشته ومشيته :

في وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا

ولا قصّر في تصوير استعداده للهجوم على فريسته :

ما زال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغي الى ما في الحضيض سبيلا

الى غير ذلك من أسرار الوصف التي دلت على ان ابا الطيب يستطيع اذا شاء ان يتغلغل في البواطن والظواهر فيستخرج منها اشكالاً فيها حياة وشعور :

هذا شيء من الكلام اليسير على مذهب المتنبي في الوصف ، فاذا برز ابو الطيب فان تبريزه في وصف المعارك واذا خلد فانما يخلد من هذه الناحية ومن ناحية الحكمة فاذا كان المتنبي شاعر الهيجاء فانه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس وامتحن الدنيا وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال فلا خوف على خلود عبقريته مادمنا نحتاج في كل عصر من العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس والى الموعظة والاعتبار والى ما يجري مجرى هذه الامور واشباهها ، لاخوف على خلود هذه

العبقرية مادامت العربية لغة كثير من الخلق ، ومادام اهل هذه اللغة يتمثلون بالابيات التي تشتمل على صور الحياة بجامعها ، كرمها ولؤمها ، وحلوها ومرها ، وعزها وذلها ، وراحتها وتعبها ، وخيرها وشرها واملها ويأسها ، فلم يخطئ ابو الطيب في قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

لزمنا من بعد هذا كله ان نعرف مصادر عبقرية المتنبي ، من هم الشعراء الذين اثروا في هذه العبقرية ، ومن هم الشعراء والكتاب الذين اثرت فيهم عبقرية ابي الطيب ، وهذا باب لا أحتاج فيه الى التطويل ، فان المتقدمين من الادباء أمثال الثعالبي والجرجاني قد عقدوا الفصول الطوال في الكلام على الشعراء الذين اخذ عنهم وعلى الشعراء الذين اخذوا عنه ، فاما الذين حلوا نظمه واستعانوا بالفاظه ومعانيه هم الصاحب بن عباد وابو اسحاق الصابي والاستاذ احمد بن ابراهيم الضبي وابو بكر الخوارزمي وابو الفرج الببغاء والمهلبي الوزير والسري بن احمد وابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب وابو الحسن السلامي وابو القاسم الزعفراني وغيرهم . واما الذين استعان بهم المتنبي هم ابو تمام وابن الرومي والاعشى وابو نواس وعبدالله بن محمد المهلبي وموسى بن جابر الحنفي وعبد الله بن طاهر والعباس بن الأحنف والبحتري واسحاق الموصلي وابو هفان وعلي بن الجهم و يعقوب بن الربيع وبكر بن النطاح وابن المعتز وابو سعيد المخزومي وامرؤ القيس و كثير من أمثالهم فمن كان يهمه ان يعرف شيئاً من هذا الاخذ فليرجع الى الجرجاني والى الثعالبي فقد شفى كل منهما و كفى و بالغ فأوفى ، اما انا فاني على مذهب الذي يقول : إلعق العسل ولا تسل عن نحله ، فسواءٌ عليّ أسرق المتنبي من الشعراء ام سرقوا منه ، ان الذي يعنيني انما هو هذا القالب الذي صب فيه المسروق ، فما أحسن ما قاله الجاحظ في هذا المعنى[1] .

والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .

شفيق جبري

(١) الحيوان : الجزء الثالث الصفحة ٤١ .

لغة المتنبي

- ١٥ -

اذا كان الشعر ضرباً من الصبغ وجنساً من التصوير على نحو ما عرّفه الجاحظ فما هو الصباغ الذي كان يصبغ به ابو الطيب المتنبي، ماهي اللغة التي كان يلجأ اليها في التصوير، ماهي مصادر هذه اللغة، ماهي محاسنها ومقابحها، ولست اعني بلغة المتنبي مجرد الفاظه وانما أريد بها ايضاً جملة فنه وما يشتمل عليه هذا الفن من المعائب والقلائد .

اظن ان لغة الشاعر انما هي السحر الذي يسحر به والفتنة التي يفتن بها، فلا يكون الشاعر شاعراً الا اذا احب الالفاظ وعرف كيف ينتخبها، فلا ريب في ان للغة الشاعر تأثيراً بليغاً في هز العواطف وتحريك القلوب، فقد قرأت مرة في مجلة فرنسية ان الدكتور «ماردروس Mardrus» ترجم القرآن بعد ان استعد لهذا الامر عشرين سنة، وقد تكلم على هذه الترجمة احد كتاب الفرنسيس فقال: لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب ثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجمع فيه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم، فاستنتج الدكتور (ماردروس) من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وانزلت منازلها كانت سحراً حلالا .

فهل تيسر للمتنبي ان يكون لفظه نوعاً من السحر وهو يسمي شعره شعر اللفظ

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

قبل ان نتبين هذا كله لا بأس ان نعرف قليلاً من مصادر لغته، من هم الشعراء الذين كان يأخذ عنهم الفاظه ؟ .

استعان ابو الطيب بكثير من الشعراء في اختيار الفاظه، وقد يطول الكلام على استقصاء اسمائهم فأجتزئ بذكر طائفة منهم كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابي نواس وكثير .

اما ابو تمام فقد كان الضياء الذي يستضيء به فهو كثير الاغتراف من بحره، لان حبيباً كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها و يعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث

عن البينة او كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرج خوفاً على دينه[1] .

فمرة كان يستعين بابي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع ان يصوّر بها الوان الصبح والليل فالمعروف ان الصبح ابيض وان الليل اسود ولكن ابا تمام قلب هذا المعنى فوصف اذربيجان فقال :

وكانت وليس الصبح فيها بابيض فأمست وليس الليل فيها باسود

فاستحسن ابوالطيب هذا الكلام فقال في وصف منبج :

فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح مذ رحلت عنها اسود

ومرة كان يستعين به على انتخاب الكلمات التي تفصح عن دمع عيونه ، فقد رثى ابو تمام اسحق بن ابي ربعي فقال :

شق جيوباً من رجال لو استطاعوا لشقوا ما وراء الجيوب

فأعجبت اباالطيب لفظة شق ماوراء الجيوب فعزى بها سيف الدولة في عبده يماك

علينا لك الاسعاد ان كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب

وحيناً كان يستظهر بابي تمام على شكوى مشيب الفؤاد ، فابو تمام يقول

شاب رأسي ومارأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد

فما أحب المتنبي ان تفلته كلمة شيب الفؤاد فقال

الا يشب فلقد شابت له كبد شيباً اذا خضبته سلوة نصلا

وحيناً كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابي سعيد محمد بن يوسف الثغري

كثرت خطايا الدهر فيّ وقد يرى بنداك وهو اليّ منها تائب

فأنس المتنبي بتوبة الدهر فقال لعلي بن منصور الحاجب

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها تائبا

وكان ابو الطيب يستنزل وحيه في البكاء على الربوع من أفق ابي تمام فانه لما قال

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت انت وهنّ منك اواهل

(١) العمدة : الصفحة ٨٧ .

كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام

وقفت وأحشائي منازل للاسى به وهو قفر قد تعفت منــازله

ولقد لجأ الى ابي تمام في التفتيش عن الفاظ يصور بها علو الشرف فلم يجد أحسن من قوله

همــة تنطح النجوم وجد آلف للحضيض فهو حضيض

فأسكرته لفظة تنطح النجوم فقال

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزّ يقلقل الأجبــالا

وعمد له في التفتيش عن الفاظ يجعل بها الممدوح في حفظ الله ، فأبو تمام يقول في المعتصم

لقد خان من يهدي سويداء قلبه لحد سنان في يد الله عامله

فهزته كلمة في يد الله فاستقبل بها سيف الدولة وقال

على عاتق الملك الأغر نجاده وفي يد جبــار السماوات قائمه

ولم يشأ ابو الطيب ان يمر بتفخيم ابي تمام لممدوحه دون الاغارة عليه فلما قال ابو تمام في خالد بن يزيد الشيباني

لبس الشجاعة انها كانت له قدمًا نشوغًا في الصبا ولدودا

قال المتنبي لكافور

لبست لهــا كدر العجاج كأنما ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا

ولما قال في اسحق بن ابراهيم

الا انــ الندي أضحى اميراً على مالـــ الامير ابي الحسين

قال ابو الطيب في بدر بن عمار

امير امير عليــه الندى كأن له منه قلبًا حسودا

اما البحتري فقد كان يأخذ عنه المتنبيء الفاظ الغزل ووصف الطبيعة لرقة ابي عبادة فلما اراد ابو الطيب ان يجد صفة للعين عرض على خاطره بيت البحتري :

لو كان في جسمي الذي في ناظر يك من السقم

فأعجبه هذا السقم فقال :

أعارني سقم جفنيه وحملني من الهوى ثقل ماتحوي مآزره

ولما أراد ان يجعل للاماكن لوناً من الألوان تذكر قول البحتري :

في كل مشرقة حصاها لؤلؤ وترابهـا مسك يشاب بعنبر

فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوية :

وليلاً توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق

بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبنه للمخانق

ولما أراد ان يشبه الماء بشيء لم يجد غير الفضة البيضاء فالبحتري يقول في وصف البركة :

كأنما الفضة البيضـاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

والمتنبي يقول في وصف دار كافور :

ولو ان الذي يخر من الأمواه فيها من فضة بيضـاء

وربما لجأ ابو الطيب الى البحتري في التنقيب عن الفاظ تسير بهـا الأمثال فلما قال المتنبي :

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البنـاء على فساد

نظر الى بيت البحتري :

اذا ما الجرح رمّ على فساد تبيّن فيه إفراط الطبيب

واما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الألفاظ التي تمثل حالة من حالات النفس او صفة من صفات الفكر ، فابن الرومي يقول :

ومن فرحات النفس ما يقتل

فارتاح ابو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا تنكرن لهـا صرعة فمن فرح النفس مايقتل

ولما أراد ابو الطيب ان يجد صفة للفكر لم يجد غير الانقاد فقال :

أشفق عند انقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

وهذا الانقاد اقتبسه عن ابن الرومي :

أخشى عليك انقاد الفكر لا حذرا

واذا نظرنا الى اخذ المتنبي عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الألفاظ التي تدل على هيبة الممدوح واتساع مناقبه فلما قال المتنبي لكافور :

يُدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

خطر بباله قول ابي نواس :

كأنما انت شيء حوى جميع المعاني

ولما قال في المغيث بن علي بن بشر العجلي :

اذا بدا حجبت عينيك هيبته وليس يحجبه ستر اذا احتجبا

تذكر قول ابي نواس :

ان العيون حجبن عنك بهيبة فاذا بدوت لهن نكّس ناظر

اما كثيّر فقد كان يأخذ عنه كلمات المسيب ، فمن شعر كثير :

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي فهو في القلب جارح

وهذا البيت اوحي الى ابي الطيب قوله :

راميات بأسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود

***

هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المتنبي ولا يتسع المقام لاستيعابها وانما ذكرت اليسير منها على سبيل الاستشهاد ، فأبوالطيب كان كثير الأخذ عن ابي تمام ، يمشي على آثاره في الفاظه ، و يصب على قوالبه ، وابو تمام مشهور باسترساله في البديع ، وميله فيه الى الرخصة واخراجه الى التعدي[1] أفكان ابوالطيب يميل الى الشيء من البديع تحدياً لابي تمام ، والصحيح ان اباالطيب استرسل في البديع ففي شعره كثير من الاستعارة

(١) الوساطة : الصفحة ٣٢٠

والتمثيل والتشبيه والتجنيس والترديد والمقابلة والتقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والغلو والاطراد والاتساع والتغاير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى أسفل مراتب الاساءة .

لا ريب في ان اللجوء الى البديع انما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الألفاظ والتراكيب[1] فلا مندوحة للغتنا عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على تباينها ثم بليت هذه الصور وعتقت فأصبحت لا ألوان لها فهي ميتة لاتهز المخيلة فاذا أحببنا ان نهز هذه المخيلة وجب علينا ان نبدع اي ان نخلق صوراً لان مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي بقى من النار الخامدة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينفخون في هذا الرماد حتى يتلهّب فلننظر في قسم من بديع المتنبي .

من صور المتنبي ، الترديد :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا　　قلاقل عيش كلهن قلاقل

ومنه قوله :

أسد فرائسها الاسود يقودها　　أسد تكون له الاسود ثعالبا

ومن صوره التقسيم :

أقل أنل أقطع أحمل علّ سلّ أعد　　زد هشّ بشّ تفضل أدن سرّ صل

ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو الهيجا بن حمدان يابنه　　تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث　　وحارث لقمان ولقمان راشد

ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه　　لما اتى الظلمات صرن شموسا

الى آخر الابيات .

من هذه الأمثلة القليلة يتبين لنا مقدار الانخفاض الذي انخفضه ابو الطيب في

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٧٧ .

تقليده ابا تمام في النهج الجديد .

والى جنب هذه المطاعن مطاعن كثيرة نبّه عليها الائمة في القديم وفي طليعتهم الثعالبي فلم يتركوا في هذا التنبيه مجالاً لقائل ولو أعملنا الروية في بعض لغة المتنبي لتحقق عندنا ان جملة مقابحه اللغوية ناشئة عن فساد ذوقه الغنائي سواء أكانت هذه المقابح في بشاعة الابتداآت :

أحاد ام سداس في آحاد لييلتنا المنوطة بالتنادي

ام في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

ام في الذي ينشأ عن هذا التعقد من اتعاب الفكر :

فتبيت تسئد مسئداً في نيها اسآدها في المهمه الانضاء

ام في استعمال الغريب الوحشي من الالفاظ كالابتشاك والساحي والوطس والكنهور .

ام في التفاصح بنوافر الالفاظ وشواذ الكلام كالخش والتوراب .

ام في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، ام في تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل امثله الف

ام في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجرّدة من الصور كالجوهر والملكوت واللاهوت واشباه ذلك .

أظن ان هذه المقابح كلها اصلها فساد مسامع المتنبي فكأنّ ابا الطيب لا ذوق له في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالفاظه الموسيقية فقد ذكر عنه ان متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها :

جللا كما بي فليك التبريح

و يتغنى فاذا توقف بعض التوقف رجّع بالانشاد من اول القصيدة الى حيث انتهى منها[1] وفي هذه الرواية دليل على تعبه في الشعر واكثر الذين يتعبون في الشعر

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٤١ .

يعظم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلي م كان ابو الطيب يلجأ الى ما يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه ·

شبهوا ابا الطيب بالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة ، وشبهوه بالشجاع الجريء يهجم على ما يريده لا يبالي مالقي ولا حيث وقع[1] فمن كانت هذه صفاته فأخلق بشعره ان يكون مطبوعاً بكثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف وتخالف الابيات ، فالى جنب هذه المساوئ اللفظية التي أشرت اليها والتي لم أشر بعدُ كعسف اللغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيفائه الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاضي الجرجاني في وساطته واحتج بحجج تكاد تكون قاطعة ، الى جنب هذه المساوئ كلها قلائد وفرائد بزَّ فيها من تقدمه وابأس منها من تأخر عنه ، فما اصح ماقاله الثعالبي في تفاوت شعره :

« يجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط فبيناه يصوغ الخرحلي و ينظم أحسن عقد وينسج انفس وشي و يختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة او تعويص اللفظ او تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج الى الافراط والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها واعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحككات بالسنة الطاعنين فمن متمثل بقول الشاعر :

انت العروس لها جمال رائق   لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه اياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر ·

هذا ما قاله الثعالبي في المتنبي ومقاله صحيح من كل وجوهه والظاهر ان التفاوت في الشعر صفة اكابر الشعراء فقليلاً ماتتناسب قصائدهم وقليلاً ما تطرد حسناتهم وبينا ابو الطيب يقول في بعض قصائده :

تمل الحصون الشم طول نزالنا   فتلقي الينا اهلها وتزول

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ٨٧ ·

اذ يقول :

أغركم طول الجيوش وعرضها علي شروب للجيوش اكول

فلست أدري ماالفرق بين قوله : علي شروب .... وبين قول العامة في القوي الذي لا يبالي بالضعيف : يأكله اكلاً ، فقد اثر ابو تمام في المتنبي تأثيراً حمله فيه كثيراً من سيئاته فان هذه الكلمات : شروب ، اكول اخذها المتنبي عن ابي تمام نفسه من قصيدة يمدح فيها الثغري :

في مكر للروع كنت اكيلا للمنايا في ظله وشريبا

وبينا نجده يقول :

اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد

اذ يقول :

لامة فاضة أضاة دلاص أحكمت نسجها يد داود

فهذا دليل على حرصه على كلامه ومحافظته عليه فهو لا يسمح بحذف شيء من هذا الكلام .

ولكن قلائد ابي الطيب غطت على هذه الهفوات فلم تذكر له سيئة الا ذكرت له حسنات فلئن قبح مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

اعلى الممالك ما يبنى على الاسل

ولئن عوص بعض شعره فقد سهل كثير من هذا الشعر

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال مأنوسها

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فلو عرضنا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد الحضر ، غذي المدر ، مما يتمثل به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل وهذه خصائص لغة الامثال والحكم .

ولئن عمد في بعض شعره لمصطلحات الفلسفة والمنطق التي لا تخلو من شيء من الجفاف فقد عمد لالفاظ كثيرة خالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة على

السمع اذكر منها قوله : مشى عليهـا الدهر - شبيبة الزمان وهرمه — يمج ظلاماً — مكرمات مشت على قدم البر — دمع الحزن — دمع الدلال — دموع تذيب الحسن — نبذوا تحت ربابه — نسج النقع عليها براقع — القت دماء الروم طاعتهـا — الى غير ذلك من آثار اللغة الشعرية ·

ولئن وفق ابو الطيب في بعض الفاظه فقد وفق في بعض صفاته فجاءت مطابقة للموصوفات كل المطابقة لاتشبه الصفات العامة التي قد تطلق على كل موصوف دون شيء من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث الحمراء — الحسب الاغر - الرشأ الربيب — المروج الفيح — لجب الوفود — الارض الواجفة ·

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستفيض في شعره فلا تشبه لغة المتنبي لغة الشعراء اصحاب الفن الذين أرادوا ان يشعروا فغنوا ، فلا يدخل ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحبون الالفاظ فاذا أردنا ان نوازن بينه وبين البحتري مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبي لا يسحرنا بالفاظه ولا يفتننا بلغته الشعرية ، ومع هذا فاننا لانجو من سحره وفتنته فهو كالملك الجبار تهولنا جبرياؤه فيسلبنا مشيئتنا فنذعن لسلطانه سواء أعدل ام عسف ، او كالصورة الحسنة في جملتها القبيحة في بعض اجزائها ننظر الى جملة ألوانها فتحسن في نظرنا ونتأمل في بعض اجزائها فتغطي متانة الجملة على شناعة الاجزاء فلا نبالي بالقبح اليسير الذي يصحبه حسن كثير ·

قد نستطيع ان نعيب لغة المتنبي بامور كثيرة كالامور التي ذكرتها في صدر هذا الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحدة الاسلوب في بعض شعره مثل قوله

أمعفّر الليث الهزبر بسوطه   لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقوله

ابن المعفّر في نجـد فوارسها   بسيفه وله كوفان والحرم

ومن هذا النوع قوله

قائدو كل شطبة وحصان   قد براها الأسراج والالجام

وقوله

وخيل براها الركض في كل بلدة   اذا عرّست فيهـا فليس تقبل

ومن هذا الجنس قوله

لا يجذبنّ ركابي نحوه أحد   ما دمت حياً وما قلقلن كيرانا

وقوله

وما تقر سيوف في ممالكها   حتى تقلقل دهراً قبل في القلل

فالتعفير والبري والقلقلة الفاظ يكركرها المتنبي في بعض قصائده وقد يكركر غيرها من الألفاظ وفي هذا التكرير ما فيه من وحدة الألفاظ او وحدة الأسلوب .

قد نستطيع ان نعيب ابا الطيب بجامع هذه العيوب ولكننا لانستطيع ان ننفلت من تأثيره ، فقد قلت ان المتنبي انما هو شاعر الهيجاء وشاعر الحكمة والمثل واذا خلد فانما يخلد من هاتين الناحيتين فالألفاظ التي تحتاج اليها الحكمة قد اهتدى اليها ابوالطيب وهي ألفاظ سهلة واي كلام أسهل من هذا الكلام

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى   عدواً له ما من صداقته بدّ

فلغة المثل والحكمة قليلاً ما تحتاج الى شيء من التزويق وانما تزويقها في حقيقة تعبيرها وسهولته والألفاظ التي تفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي طاعتها وهي الفاظ شديدة واي لفظ أشد من هذا اللفظ

وما تقر سيوف في ممالكها   حتى تقلقل دهراً قبل في القلل

فلغة الحرب تحتاج الى صور متقدة تمثل شيئاً من اتقاد الهيجاء ولهيب نارها والمتنبي لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل معانيها الى الذهن قبل الألفاظ ومرة تتوعر فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ، وحيناً تملي عليها الحضارة مألوف الكلام ومعتاده فيأنس الطبع بهذا الكلام الانس كله ، وحيناً تلهمها البداوة من وحشي الالفاظ وشاذها الفاظاً تظن ان صاحبها من أجف الأعراب طبعاً ، هذه خصائص لغة تارة تبرز انا مجردة من كل صورة معرّاة من كل نقش ، وتارة تختال في حال جمعت ضروب النقش والتلوين لكن هذه الصور تؤذيك رثاثتها في بعض الأحيان و يرضيك رونق جدتها في بعض الأوقات مرة يصورها صاحبها دون شيء من حشد الخاطر وتكلف الصناعة بحسب خلو الجو من التعقب والتهيب ومرة لا تظهر

هذه الصور الا بعد الحمل على القريحة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا حلّقت في سماء فلا تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك الاسفل ، جمع صاحبها مختلف المحاسن والمساوئ فكان هذا الاختلاف عنوان عبقريته وعلامة خلوده ٠

قد نبهنا في المتنبي محاسن شتى أذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج والتخلص وحسن التقسيم وسياقة الأعداد والابداع في التشبيهات والتمثيلات وافتضاض ابكار المعاني ، وقد نؤذينا في هذا الشعر مقابح متباينة أشرت الى ما تيسر لي منها لكن هذه المقابح لا تعفي على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة عبقريته فان في لغة المتنبي وفي شعره شيئاً لا أدري ما هو ولعل هذا الشيء انما هو صورة روحه فاذا كانت هذه الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي تستهوينا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي صورة الشاعر الجبار ٠

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

— ١٠ —

وحدثني ابو الفضل قال كنت مقيما بسيراف اتصرف واجتاز بها يوسف ابن وجيه يريد البصرة ومحاربة البريدي وضامنها اذ ذاك(١) ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الامير علي بن بويه فتلقاه (٢) وخدمه خدمة ارتضاها ونزل بظاهر البلد فحمل اليه ابن مكتوم كل شيء من الالطاف والهدايا قال فقال له يوماً والله ما وردت هذا البلد الا وفي نفسي الاجتراء (٣) عليه وتخليف (٤) جيشاً به ثم الخروج الى البصرة ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك واشاروا علي بهذا ولكن قد استحييت منك ان افعل فانك بدأتني بالخدمة وانا في اطراف عملي وليس بكثير ان اهب لك هذا البلد قال وقد كان بلغنا ان اهل البلد كاتبوه بذلك ولم نحقق هذا ولما قرب اشار اهل البلد على ابن مكتوم بالانصراف وان لا يحضر وخوفوه ان يقبض عليه وارادوا بذلك ان يتم التدبير لهم في تملك يوسف بن وجيه البلد فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك وقال لان يقبض عليّ وليس لي اليه ذنب يقتلني به احب اليّ من ان اصير لنفسي ذنباً عند علي بن بويه فيقتلني

«١» في بعض المواضع جاء ابومكتوم . «٢» بالاصل فلقه . «٣» لعله الاحتواء .
«٤» م . ع : كذا في الاصل والاولى وتخليفي جيشاً او تخليف جيش .

به فانه يظن اني واظبت (١) على خروج البلد عن يده لا كسر مال الضمان ويقول لي كان يجب ان تصبر الى ان يدخل فيقبض عليك او تجيئني بعد وقعة يحدس (٢) فيها رجل ولم يبرح واخلد الى خدمته العظيمة فنفمه ذلك وتخلص قال فلما كشف له يوسف ما كان في نفسه دعا له وشكره وتذلل فقال له يوسف وقد كنت عملت على ان لا أشرب الى ان فتح (٣) هذا البلد الذي اقصده ولكن قد اشتقت الى الشرب شهوة لان اشرب معك لما رأيته من ظرفك وفتوتك فنعود العشية الى الشرب ومعك من تأنس به من اصحابك قال فانصرف واختار جماعة من وجوه البلد ووجوه المتصرفين كنت واحداً منهم وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر فركب ونحن معه حتى اوصلنا الى حضرته فاجلسنا في فازة (٤) بهنسي (٥) لم أر قبلها مثلها حسناً في صدرها سدة ابنوس مضببة بالذهب ومساميرها ذهب وعليها دست ديباج فاخر جداً وبين يديها بساط جهرمي (٦) فوقه حصير واسع كثير (٧) عظيم طبراني ومخادّ وصدر منه وخرج يوسف فجلس وجلسنا معه واحضرت مائدة فضة

«١» لعله : واطأت . «٢» م . ع يقال حدس الشاة اضجعها ليذبحها وحدس بالشاة ذبحها وحدس بالرجل صرعه ويحتمل ان تكون مصحفة عن يخدش . وهي ابلغ .

«٣» م . ع : الظاهر افتتح .

«٤» م . ع : الفازة بناء من خرق وغيرها تبنى في العساكر والجمع فاز وقال الجوهري والفازة مظلة تمد بعمود وفي القاموس بعمودين. «٥» م . ع بهنسى كورة بصعيد مصر . ولعله فازة بهنسية . قال المقدسي يصنع ببهنسة الستور والانماط . «٦» جهرم مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة « ياقوت » .

«٧» م . ع لعله كثيراً او كبير .

زرافين (١) تسع عشرين نفساً فجلسنا عليها ونقل علينا من الطعام مالم ار مثله حسناً في اواني كلها صيني قال وتأملت فاذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرابي ذهب وكوز بلور فيه ماء فاكلنا فلما تم اكلنا نهض يوسف فخرج من وراء الفازة الى موضع وجاءنا فراشون بعددنا بطساس واباريق فضة ومجامع فضة فغسلنا ايدينا دفعة واحدة ومضى اولئك الغلمان الاصاغر وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المجلاة (٢) الثقيلة والمضارب البلور والمداخن (٣) المجلاة الحسنة فتبخرنا دفعة وتركت ساعة في موضعنا ثم استدعينا فادخلنا الى فازة الطف من تلك ديباج وفيها (٤) صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية مثل تلك الحصر وفيها نحو ثلاثين مطاولة (٥) مسبكة ذهب كلها عليها تماثيل العنبر على هيئة الاترج والبطيخ والدستبو «٦» او غير ذلك قال فدهشنا وتحيرنا واذا في اربع جوانب تلك المطاولات اربع اجاجين بيض كبار عظام كل واحدة كالقدس «٧» الكبير والجميع مملوءة ماء ورد وفيه امر عظيم من تماثيل الكافور وغلمان قيام بعددنا يروحون وغلمان أخر بعددنا بايديهم مناديل الشراب وبين يدي كل

«١» م . ع : الزرافين جمع زرفين وهي الحلقة . «٢» م . ع لعله المحلاة .

«٣» م . ع المجامر والاولى المحلاة .

«٤» لعله سقط : سدة . «٥» لعله طاولة .

«٦» م . ع الدستبوية نوع من البطيخ الاصفر معرب عن دست بوي اي شمامة وهو مركب من دست اي يد ومن بوي اي رائحة . فالدستبو . منها . «٧» م . ع القُدُس والقُدُس قدح يتطهر به والقَدَس السطل ولعله المراد هنا .

واحد صينية ذهب ومغسل ومركب (١) ذهب وخرداذي (٢) بلور وقدح بلور وكوز بلور والجميع فارغ قال فامر يوسف باخراج الانبذة في مدافات (٣) بلور تسمى بالفارسية جاشنكير (٤) فاخرجت عدة انبذة من العنب مما يعمل في جبل عمان لم نظن انه يكون في تلك (٥) بحسنها وطيبها فاختار ابن مكتوم نبيذاً منها فملئت الظروف منه وقام على رأس كل واحد منا غلام يسقيه ويتفقد نقله ويتفرد بخدمته الى ان شربنا اقداحاً ثم اجرى يوسف حديث علي بن بويه فقال لابن مكتوم وقد خرج من حديث الى حديث احب ان تخبرني عن اخي ابي الحسن علي بن بويه اي شيء اعتقد في امارته هذه قال فاخبره أن له الفي غلام اتراك (٦) واربعة آلاف بغل والفي جمل قال واخذ يكثر عليه من هذا فقال له ويحك هذا عيال وسبب خرج لم اسأل عن هذا انما سألت اي شيء ادخر مما يتنافس فيه الملوك قال فقال له وصل من الكنوز العتيقة والاموال التي استخرجها الى تسعين الف الف

«١» م . ع الصواب مركن . وهو اناء كالطست يغسل فيه .

«٢» م . ع الخرداذي الخمر والظاهر ان المراد اناء نسب اليها .

«٣» م . ع دافه خلطه ، والمكان مداف ولعل المراد آنية يداف بها الشراب او هي محرفة عن فراغات جمع فراغ بمعنى الاناء على اننا لم نجد هذا الجمع . «٤» م . ع جاشنكير كلمة فارسية معناها ممسك اللذة وتطلق على الرجل الموكول اليه في قصور العظماء النظر في لذة الاطعمة اي تمييز لذة الطعام والحكم فيه ويطلق على صنف من الجند يقوم بخدمة المائدة في الولائم ويسمون بالعربية الندل من ندل اذا نقل ، ولعلهم اطلقوا هذا اللفظ على نوع من الآنية لانه يمسك الخمر التي هي سبب اللذة . «٥» لعله سقط : النواحي .

«٦» كذا في الاصل ولعله تركي او هو مرفوع على القطع .

درهم قال فقال ولا هذا اردت انما اردت الذخائر والجواهر وما يخف وبالجملة (١) الملوك (٢) معهم محملا لطيفاً اذا احزبهم(٣) امر قال فقال ابن مكتوم لا اعلم الا ما سمعت ان الحبل الذي كان للمقتدر قد وصل اليه فقال وما الحبل قال فص ياقوت احمر فيه خمس مثاقيل الا اني ابتعت له جوهرتين بمائة وعشرين الف درهم فقال قد انست بك واقتضى ان أريك ما صحبني في هذه السفرة من هذا الجنس ان نشطت لذلك قال فشكره ودعا له وقال اي والله انشط لذلك واتشرف به قال فدعا بغلام وقال امض فهات الربعة (٤) الفلانية قال فجاءه بربعة كبيرة قال وكانت بين يديه خرائط (٥) خراسانية مطروحة في المجلس فاستخرج من واحدة منهن مفتاح ذهب وتأمل اولاً ختم الربعة ثم فتحها بالمفتاح واخرج الينا قضيباً عليه خواتيم نحو خمسمائة خاتم يواقيت وفيروزج وعقيق لم نر مثله فأرانا اياه وقال ليس هذا شيئاً فدعوه قال فتركناه ثم اخرج الينا عقداً فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها على قدر بيض الحية والعصفور فدهشنا من عظمها فقال ان هذا العقد في خزانة خالي احمد بن هليل وخزانتي من بعده منذ كذا وكذا سنة والجوهر الينا يصل اولاً ثم يتفرق من عندنا الى البلاد ونحن مجتهدون في ان نجد سبع

«١» م . ع كذا في الاصل الظاهر ان الاصل . وما يحمله الملوك او محرف عن ما يجعله . «٢» لعله سقط : يحفظون .

«٣» م . ع كذا في الاصل والمعروف حزبه الامر من الثلاثي اي نابه واشتد عليه .

«٤» م . ع : الربعة وعاء مربع الشكل ومنه ربعة المصحف وهو صندوق توضع فيه اجزاؤه . «٥» م . ع الخريطة وعاء من جلد وغيره تشرج على ما فيها .

حبات تشابه هذا فيحصل في العقد مائة حبة فما نقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة قال ثم اخرج الينا فصاً من الماس فلبسه في الحال وادناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد حتى تكسر فص ابن مكتوم قال ثم استخرج منديلا لطيفاً فحله واخرج قطناً ففرقه بيده واستخرج منه شيئاً خطف ابصارنا واضاء المجلس له حتى دهشنا وسلمه الى ابن مكتوم وقال تأمله قال فتأملناه فاذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدما[١] في الطول والعرض قال فدهشنا فقال يوسف بن وجيه اين هذا يابا مكتوم [٢] من الذي وصفته قال فانكسر ابن مكتوم وما زلنا نقلب تلك الكف ونشرب عليها ساعة قال ثم اخرج الينا من الربعة حشائش ذكر انها سموم قاتلة في الحال وحشائش ذكر انها تبرئ من تلك السموم في الحال قال واخرج اشياء هائلة ظريفة لم يعلق بحفظي منها الا ما ذكرته لدهشتي بما رأيت قال فلما جاء المساء جاءنا شموع [٣] عنبر فوضعت تتقد قال وشربنا الى نصف الليل وانصرفنا وشخص يوسف الى البصرة وحاربه البريدي فهزمه وافلت في مركبه واحرقت باقي مراكبه فلم يحب الاجتياز بسيراف فتوه (٤) في البحر وسلك وسطه يريد عمان قال وبلغنا الخبر وانفذ ابو مكتوم (٥) صاحباً له الى عمان يتوجع له ويعرف خبره وكاتبه على يده قال فدخل صاحبنا الى عمان قبله بايام ثم وردها يوسف فلما وقف

«١» م . ع كذا في الاصل . ولعله وقدره في الطول .

«٢» كذا بالاصل والصحيح يا ابن . «٣» م . ع : لعله بشموع .

«٤» م . ع : يقال توه نفسه حيرها وطوحها . «٥» كذا بالاصل .

على الكتب تذكر عهد ابي مكتوم وذكره بالجميل ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم وانفذ الى ابي مكتوم هدية قيمتها مائة الف درهم تجتمع (١) على طرائف البحار وانفذ الى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع ابي مكتوم — عدة أثواب من صنوف الثياب وافخرها واحسنها وكنت ممن وصل اليه ذلك .

حدثني ابو الفضل قال حدثنا شيخ كان لنا بفارس من اهل قم قال ورد الينا وصيف كأنه اسد على بلدنا فتلقيناه فرأينا من فضله وعقله وجلالة قدره كل عظيم قال فأقبل علينا بخطاب جميل ووعدنا ومنانا وعرفنا رأي السلطان في العدل والاحسان ثم اقبل يسأل عن امور بلدنا مسألة عالم به ويسأل عن شيوخه الى ان انتهى في السوءال الى رجل لم يكن جليلا ولا مشهوراً ولا عرفه منا الا واحد كان في المجلس قال فأقبل يعظم من امره ويسأل عن معيشته واولاده قال فاسترقعناه قال ثم قال لنا احضروني اياه احضاراً جميلا فإني اكره ان انفذ اليه من يستدعيه فاروعه قال فاحضرناه اياه فحين وقعت عينه عليه قام اليه قياماً تاماً وأجلسه في الدست معه قال فسقط عن (٢) اعيننا وقلنا جاهل لامحالة قال ثم أقبل عليه يسأله عن زوجته وبناته وبنيه والشيخ يجيب جواب ضجر باهت معظم لما عمله فقال له احسبك قد أنسيتني وانكرت معرفتي فقال كيف انكر الامير ايده الله مع عظمه وجلالته فقال له (٣) دع

«١» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن تحتوي او مضمنة معناها .

«٢» م ، ع : المعروف سقط من اعيننا . «٣» بالاصل : لا دع .

هذا أتعرفني جيداً ؟ قال لا قال فقال انا مملوكك وصيف ثم اقبل علينا فقال يا مشايخ قم : انا رجل من الديلم كنت سبيت في وقت كذا وكذا في الغزاة التي غزاهم فيها فلان الامير وكان سني اذ ذاك عشر سنين او نحوها فحملت الى قزوين فاتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحملني الى قم واسلمني مع ابنه في أكتاب (١) واجراني مجراه في حسن التربية وفعل بي وصنع وجعل يعدد له بابا (٢) ذكره وانه احسن ملكته حتى انه مايتأذا (٣) منه قط ولا ضربوه ولا شتموه وانهم كانوا يكسونه كما يكسون ابنهم ويطعمونه كما يطعمونه ولم ازل معهم في احسن عشرة الى ان بلغت وكانوا يهبون لي الدراهم لشهواتي ويعطوني اكثر مما يحتاج اليه وكنت مذ كنت صبياً كلما وقع بيدي شيء جمعته عند بقال في المحلة يعرف بفلان قال ثم سأل عنه فقيل هو باق فلما بلغت واشتددت طلبت السلاح وعملت به ومولاي مع هذا يشتري لي كل ما اريده ويكفني (٤) من (٥) شهواتي ويحسن اليّ ولا يعترض في شيء اريده عليّ قال واتفق ان بعض الجند رآني فقال هل لك في ان تخرج معي الى خراسان فاركبك الدواب وأفعل بك واصنع فقلت اصحبك على شرط ان لا اكون مملوكك ولا تملكني ولكن اشتري لنفسي دابة

«١» م . ع الظاهر الى الكتاب . «٢» لعله سقط : بابا م . ع كذا في الاصل ، وجعل يعدد له بابا ذكره . ولعل اصله يعدد ما شاء ذكره او يعدد لهم مآثره .

«٣» م . ع كذا في الاصل والظاهر ما تأذوا .

«٤» لعله ولا يكفني «٥» م.ع : المعروف كفه عن الشيء ويحتمل ان يكون الاصل ويكفيني من شهواتي

وسلاحاً واتبعك غلاماً لك مالكا لنفسي فمتى رأيت منك ما اكره فارقتك ولم يكن لك الاعتراض عليّ فقال افعل قال فجئت الى البقال فحاسبته وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير فاخذته واشتريت منه دابة وسلاحاً واخذت آلتك (١) ومعي دراهم وصحبت الجندي وأبقت من مولاي هذا ومضيت الى خراسان باسرها وتقلبت بي الامور وترقت حالي مع الايام حتى بلغت هذا المبلغ وانا في رق هذا الشيخ وانا اسألكم الآن مسألته ان يبيعني نفسي قال فاكبر الرجل ذلك وقال انا عبد الامير والامير حر لوجه الله واتحمد بولائه وافتخر انا وعقبي بذلك قال فقال ياغلام هات ثلاث بدر واحضرت وصب المال وسلمه الى الشيخ ثم استدعى له من الثياب والدواب والبغال والطيب والآلات مايزيد قيمته على قدر المال ثم استدعى ابنه فاحضروا اكرمه وتطاول (٢) له ووهب له عشرة آلاف درهم وثيابا كثيرة ودواب وبغالا واستدعى البقال ووهب له خمسمائة دينار وثيابا كثيرة قال ثم انفذ هدايا الى بنات الشيخ وزوجته وعيال البقال قال ثم قال للشيخ يا فلان انبسط في هـذا السلطان الذي قد رزقك الله انبساط من يعلم ان الامير مولاه واعلم بانك لاتحل شيئاً فاعقده ولا تعقد شيئا فاحله قال ثم التفت الينا وقال يامشايخ (قم) انتم سادتي وشيوخي وماعلى الارض اهل بلد أحب اليّ منكم ولا اوجب حقاً منكم فانبسطوا في حوائجكم انبساط الشريك الذي لا فرق بينه

«١» م ع الظاهر ان الاصل . واخذت آلتي اي اداتي ومتاعي او : اخذت ألتي اي سلاحي «٢» م . ع يقال تطاول عليه اي تطول وتفضل وتطاول الرجل تمدد قائماً .

وبيني الا فيما حظرته الديانة وليس بيني وبينكم فرق الا في ثلاث: طاعة السلطان وصيانة الحرم ومخالفتكم في الرفض فاني قد طوفت الآفاق وسلكت الجبال والبحار وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احداً غيركم ومحال ان يجتمع الناس كلهم على ضلالة وتكونوا انتم من بين اهل الآفاق على حق قال ثم سأل كل واحد منا عن حوائجه ونظر اليه فيه (١) بطرف ونظر للشيخ بضعف ما نظر به لاجلنا قال فخرجنا من عنده وقد نبل في عيوننا نبلا شديداً وانقلبت المواكب الى باب الشيخ فأقبل الناس اليه في الحوائج والى ابنه فصارا رئيسي البلد ولم يكن وصيف يردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير الى ان خرج عن قم.

قال وحدثني ابو الهذيل ان وصيفاً لما ولي فارس أقام بشيراز وكان يتواضع للناس تواضعاً شديداً ويحسن السيرة ويحبب الى العامة جداً حتى كان يعود مرضاهم ويشهد جنائزهم قالوا وما رأينا اميراً اعقل منه ولقد رأيته يوماً قد حضر جنازة رجل من السوق راكباً دابة وعليه دراعة بيضاء وعمامة وليس بين يديه الا ثلاثة من الشاكرية (٢) فوقف في جملة الناس يصلي على الرجل قال وكان عندنا حائك يعرف بفلان يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال فرأيته وقصد أن جاء فوقف الى جنبه (عند) الصلوة وزاحمه حتى وضع مرفقه في صدر وصيف وزحمه به فجاء بعض من كان معه ينكر ذلك وينحي الرجل فنظر اليه نظراً شزراً جزع معه الغلام ونحى

«١» لعله: فيها. «٢» م. ع الشاكري الاجير والمستخدم معرب جاكر.

وتركه والحائك قال فرأيته قد تجمع في مكانه ووسع للحائك حتى قاموا للصلوة .

بلغني من جهة وثقت بها عن ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج قال حضرت مجلس ابي القاسم عبيد الله بن سليمان وابو زنبور الكاتب يعذله في افضائه الى ابي العباس بن الفرات وتفويضه الامور اليه ويخاطبه بكل عظيم في ذلك الى ان قال له الناس يقولون أيها الوزير انك يتيم في حجر ابن الفرات فقال عبيد الله انا يتيم في حجر كل كاف

حدثني بعض اخواني الثقات عندي

قال حدثني (١) ابو احمد هارون (بن) الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب قال لما صحبت ابا علي بن مقلة الى بغداد واستكتبني كان يتعمد نفعي بكل شي ويوصل الي أموالاً جليلة فلم اكن أحفظها وكانت كلها تخرج عن يدي فى القيان والشراب واتلفته قال فهويت جارية في القيان صفراء (٢) واشتهر امري معها وانفدت كل كسبي عليها حتى بلغ ابا علي وكان يعذلني ويوبخني ويمنعني من مفارقة حضرته وان اخل (٣) بها قال فافلت يوماً من حضرته ومضيت الى بيتي وقد حصلها غلامي واعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة والتجايا (٤) الظراف والشراب الفاخر قال

«١» معجم الادباء ٥ : ٤٤٤ «٢» عند ياقوت ان اسمها مهجة . «٣» لعله : اخلو . م . ع الصواب ما في الاصل يقال اخل بالمكان وغيره اذا غاب عنه وتركه . «٤» لعله التحائف م . ع . الظاهر انها محرفة عن التحايا جمع تحية وهي العمارة والعمارة الريحان يزين به مجلس الشراب فاذا دخل داخل رفعوا شيئاً منه بايديهم وحيوه به . ومنه قول

فشربت ليلتي معها وخفت أن اخل بالوزير فحملتني الشهوة للجلوس مع المغنية على ان كتبت الى الوزير رقعة اعتذر فيها من التأخر واقول ان الصفراء تحركت عليّ واضطرب جسمي فلم اقدر على المجيء واباكر الخدمة في غد واسأل قبول عذري. قال فعاد اليّ الجواب بخط ابي علي بن مقلة في اضعاف السطور باجل خطاب والطف مداعبة وقال فيه ياهذا ظلمت الصفراء انت تحركت على الصفراء ليس هي تحركت عليك وقد علمت مغزاك في التأخر وبحسب ذاك اجبتك وقد بعثت اليك منديلا مختوماً فاستغن (١) بما فيه قال ففتحت المنديل واذا فيه رطل ند وشيء كثير من الكافور والمسك ومائتا دينار عيناً .

وانشدني ابو الحسن علي بن هارون بن المنجم لنفسه في معنى الصفراء بيتين ما سمعت باظرف من معناهما وهما يقاربان قول ابن مقلة وهما:

قال الطبيب وقد تامل سحنتي (٢) هذا الفتى اودت به الصفراء

فعجبت منه اذ اصاب ومادرى قولا ومعنى (٣) ما اراد خطاء

حدثني بعض البغداديين قال ضرب عندنا رجل من اهل العصبية خمسمائة سوط في وقت واحد فلم يتأوه ولم ينطق فلما كان بعد ايام حم حمى صعبة وضرب عليه معها رأسه فأقبل يصيح كما يصيح البعير ويقول العفو

النابغة (يحيون بالريحان يوم السباسب). وقول الاعشى :

اذا ما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وفي الاساس العمارة ريحانة يحيي بها الملك «١» الاظهر فاستعن بالمهملة

«٢» في المعجم جس الطبيب يدي وقال مخبراً . «٣» في المعجم وظاهر .

العفو يكررها فلما كان من غد اجتمع اليه قوم من اهل الحبس فقالوا فضحتنا انت تضرب بالامس خمسمائة سوط فلا تصيح تحمّ ساعة من ليلة فتصيح فقال عذاب الله عز وجل اشد العذاب وما كنت لاتجلد عليه.

قال فأتي بعض الولاة برجلين احدهما قد ثبت عليه الزندقة والآخر قد وجب عليه الحد فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا كذا وكذا قال فتسلمهما وخرج فوقف المحدود وقال أيها الامير سلمني الى غيره فان هذا الامر لا آمن فيه الغلط (١) فيه لا يتلافى قال فضحك منه الامير واستطابه وامر باطلاقه واطلق وضربت عنق الزنديق

قال واتي المهدي بن المنصور برجل قد رمي بالزندقة فسأله عن ذلك فقال الرجل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله وان الاسلام ديني عليه احيا وعليه اموت وعليه ابعث. فقال له المهدي يا عدو الله انما تقول هذا مدافعة عن نفسك هاتم (٢) السياط فأحضرت وامر بضربه فضرب وهو يقرره فلما اوجعه الضرب قال له يا امير المؤمنين اتق الله قد حكمت عليّ بخلاف حكم الله تعالى وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم

«١» م.ع كذا في الاصل. ولعل اصله لا امن فيه الغلط والغلط فيه لا يتلافى. «٢» م.ع تقدم ان المعروف هاتوا . والظاهر ان هاتم كانت متداولة في ذلك العصر.

الا بحقهما وحسابهم على الله وانت قد جلست تطالبني وتضربني حتى اكفر فمقتني قال فخجل المهدي وعلم انه قد اخطأ فأمر باطلاقه .

فحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علان الاهوازي قال حدثني جدي ابو القاسم بن علان وقد جرى حديث السلطان وان شره يدفع الساعات (١) ورد علينا يوسف اليزيدي (٢) كاتب السيدة يطالبني واباً يحيي الرامهرمزي ان نضمن منه ضياع السيدة ويشدد علينا ونحن ممتنعون الى ان اخلى لنا مجلسه في يوم خميس وناظرنا مناظرة طويلة وشدد علينا امراً عظيما فكدنا معه ان نجيبه وكان علينا في ذلك ضرر عظيم فقلت لابي يحيي يجب ان نجتهد في دفع المجلس اليوم لنتفكر اذا انصرفنا كيف نعمل قال وكان ابو يوسف محدثاً طيباً (٣) قال فجرم ابو يحيي الى المحادثة واستلب هو الحديث وسكت ابو يحيي قال وكان عادة ابي يوسف في كلامه ان يقول في كل قطعة من حديثه افهمت قال وكان كلما قال ابو يوسف لابي يحيي افهمت يقول ابو يحيي لا فيعيد الحديث ويخرج منه الى حديث آخر قال فلم يزل كذلك حتى حمي النهار وقربت الشمس من موضعنا فرجع ابو يوسف الى حديث الضمان ومطالبتنا بالعقد فقلت له انه قد حمي النهار وهذا لا يتقرر في ساعة ولكن نعود غداً ورفقنا (٤) به فقال انصرفوا فانصرفنا

« ١ » لعله بالساعات. « ٢ » لعله ابو يوسف البريدي. « ٣ » بالاصل محداً ماطس.

« ٤ » م .ع يقال رفق به اذا تلطف وألان جانبه ويحتمل ان تكون ورقفنا له . اي زينا الكلام وحسناه .

واستدعانا من غد فكتبنا اليه رقعة انه يوم الجمعة وهو يوم ضيق ويحتاج الى الحمام والصلوة وقل امر يبتدأ به يوم الجمعة قبل الصلوة فيتم ولكنا نباكرك يوم السبت فاندفع واستدعانا يوم السبت فصرنا اليه وقد وضعنا في نفوسنا الاجابة لما ايسنا من الفرج فحين دخلنا اليه ورد اليه كتاب فقرأه وشغل قلبه وقال انصرفوا اليوم فانصرفنا ورحل بعد ساعة لان الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه فبادر قبل ورود الصارف وكفينا امره .

قال وورد الينا في وقت من الاوقات بعض العمال متقلداً للاهواز من قبل السلطان وقد اسماه ونسبه الذي حدثني قال فتبع رسومنا ورام بعض شيء منها وكنت انا وجماعة من التناء في تلك المطالبة وكان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنة لو تم علينا وذهاب اكثر قيم ضياعنا قال فقالت لي الجماعة ليس لنا غيرك تخلو بهذا الرجل وتبذل له مرفقاً وتكفينا اياه قال فجئته وخلوت به وبذلت له مرفقاً جليلا فلم يقبله ودخلت عليه بالكلام من غير وجه فما لان ولا اجاب قال فأيست منه وكدت ان اقوم خائباً قال فقلت له في عرض الكلام ياهذا الرجل انت مصمم من هذا الامر على خطأ شديد لانك تظلمنا وتزيل (١) رسومنا من حيث لا يحمدك السلطان ولا تشفع (٢) انت بذلك ومع هذا فاخبرني هل تأمن ان تكون قد صُرفت وكتاب صرفك في الطريق يرد عليك بعد يومين او ثلاثة فتكون قد اهلكتنا وأثمت في أمرنا وفاتك هذا المرفق الجليل ولعلنا نحن نكفى ويجيء غيرك فلا يطالبنا او يطالبنا فنبذل

«١» لعله تزيد. «٢» م.ع كذا في الاصل والظاهر ولا تنتفع .

له هذا المرفق فيقبله ويكون الضرر انما يدخل عليك وحدك. قال فحين سمع هذا اعتقد ان لي ببغداد من يكاتبني بالاخبار واني قد احسست باختلال امره واخذ يخاطبني (١) من لس (٢) وقع لي انه قدوقع هذا قال فقد ثبته وثبت في نفسه فأجاب الى اخذ المرافق (٣) وازالة المطالبة فسلم (٤) اليه رقاع الصيارف بالمال واخذت منه حجة (٥) بازالة المطالبة وانصرفت وقد بلغت ما اردت قال فسلمت فلما كان بعد خمسة ايام لا تزيد يوماً ورد عليه الكتاب بالصرف قال فدخلت اليه فاخذ يشكرني (٦) بما جرى وبما (٧) ورد عليه فاوهمته اني كنت قد قلت له ذلك على اصل وكفيت تلك المطالبة.

حدثني ابو الطيب محمد بن احمد بن عبد المومن الوكيل على ابواب القضاة بالاهواز قال قال لي بعض المكديين (٨) ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله حتى استغنى عن الشحذ فكان يعلمهم مايعملون فسألناعن سبب نعمته فقال كنت تعلمت بالسريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ثم لبست زي راهب وخرجت الى سر من رأى وبها قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر (٩) الفلاني وذكرت عمراً بعيدا بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة

«١» م. ع الظاهر ان الاصل يخاطبني مخاطبة من يشعر انه وقع لي الخ اونحو ذلك
«٢» لعله حيث. «٣» م. ع ذكرت قبل بصيغة المفرد. والمرفق ما ينتفع به.
«٤» م. ع كذا في الاصل والظاهر: فسلمت اليه. «٥» لعله خطه.
«٦» م. ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن: يشعرني. «٧» لعله: ويخبرني بما
«٨» م. ع الصواب المكدين بياء واحدة. «٩» العُمر الدير كما في معجم البلدان

وكنت نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه قد دخل الى ثمري فدعاني الى الاسلام فأجبته فقال لي امض الى فلان القائد حتى ياخذ عليك الاسلام فانه من اهل الجنة فجئت لاسلم على يديك قال ففرح التركي فرحاً عظيما شديداً ولم يحسن ان ياخذ عليّ الاسلام فتفرع في كلامه وقطعت الزنار واسلمت بحضرته قال فوصلني ماقيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم والثياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم بزي الرهبان وقلت له كما قلت الاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم فلما كان في بعض تلك الايام صرت الى احدهم واتفق انه كان عنده دعوة فيها وجوههم فلما دخلت وقصصت الرؤيا وتأملتهم واذا في الجماعة واحد ممن كنت لقيته بالرؤيا قال فقامت عليّ القيامة فلما فرغت من حديث الروءيا واظهرت الاسلام على يد التركي وامر لي بالجائزة وخرجت أتبعني ذلك القائد بغلامه فلما بعدت من الدار قبض علي وحملني الى منزل التركي الاول فقامت قيامتي واحسست بالمكروه وبذلت للغلام جميع ما كان معي ليدعني انصرف فلم يفعل وجاء التركي وهو منتش فقال يايا حصات (١) لتسخر بالاتراك واحد واحد(٢) وتاخذ دراهمهم قال فقلقت فزعا وقلت ياسيدي انا رجل صفعان (٣) فقير مكدٍ وانافعلت هذا لآخذ شيئا قال فقال لي اظننت

«١» م . ع لعله حلمت من الحلم وهو الروءيا . «٢» م . ع كذا في الاصل.
«٣» م . ع اي رجل يصفع

اني افضحك في بلدك ما كنت بالذي فعل وقد جازت السخرية عليّ حتى تجوز على الجماعة كما جازت عليّ ولكن البس انت. قال فطايبته وتصفعت له فضحك مني واستدعى بالنبيذ وشرب ولاعبته فاستخف روحي وحبسني عنده وخلع علي واعطاني دراهم ودعا جماعة من قواد الاتراك وخرجت عليهم في زي الصفاعنة فطمطوا (١) عليّ وضحكوا فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا قال فأخذت منهم على تلك الحال مالا ثانياً جليلا وانصرفت الى بغداد فابتعت به عقاراً منه اعيش الى الآن.

تم الجزء الثامن

«١» م.ع الطمطمة حكاية صوت المجان اذا قالوا : عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوماً — واختلاط الاصوات وتتابعها في الحرب وغيرها

رسالة الكرم

ـ ٥ ـ

« الحصرم »

الحِصرِم كزبرج اول العنب ولا يزال العنب مادام أخضر حصرماً . ابن سيده الحصرم الثمر قبل النضج والحصرمة بالهاء حبة العنب حين تنبت عن ابي حنيفة وقال مرة اذا عقد حب العنب فهو حصرم . الأزهري الحصرم حب العنب اذا صلب وهو حامض . ابو زيد الحصرم حشف كل شيء . وفي المصباح الحصرم اول العنب مادام حامضاً . وقال الأصمعي الحصرم ماطال من نبات العنب شيئاً . وقال ايضاً اذا لم يرو الغصن من الكرم وخرج حبه ضعيفاً متفرقاً فهو الخصاصة والحصرم .

وحصرم كل شيء حشفه . ومن امثالهم تزبب قبل ان يتحصرم . و يقال حصرم الكرم .

العُقَّيْلى بضم العين وفتح القاف المشيدة الحصرم . عقَّل الكرم تعقيلاً اخرج عُقَّيلاه .

الكَحْب بالفتح الحصرم واحدته كحبة لغة يمانية . وقد كحَّب الكرم تكحيباً اذا ظهر كحبه اي عنقود حصرمه . و كحَّب العنب تكحيباً اذا انعقد بعد تفقيح[1] نوره كذا في اللسان وفي التاج اذا انعقد او كثر حبه .

الكحم لغة في الكحب واحدته كحمة . وفي اللسان وقد كحب الكرم اذا ظهر كحبه . وهو البَرْوَق[2] والواحد كالواحد ونحوه في التاج .

الحثن[3] بالفتح حصرم العنب وقيل هو اذا كان الحب كرؤوس الذر واحدته بالهاء

---

(١) فقَّح الورد اذا تفتح وفقح الشجر انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه وكل نور تفتح فقد تفقَّخ وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار .

(٢) البروق كجعفر مايكسو الارض من اول خضرة النبات . وشجر اونبت ضعيف يعيش بادنى ندى يقع من السماء وقيل يخضر اذا رأي السحاب . والعرب تقول أشكر من بروقة . وأضعف من بروقة .

(٣) هكذا ذكره في التاج وضبط بالشكل في اللسان والمخصص بفتحتين : الحثن .

هكذا في اللسان والتاج . وفي المخصص اذا تفرق حب العنقود بعد اجتماعه فهو الحثن . وقال ايضاً واذا تجرد الحثن وعقد حبه فهو حصرم .

الغَض" قال في المخصص والغض [١] من صفات الحثن وقيل كل ناعم غض وغضيض بين الغَضاضة والغُضوضة . وقيل هو غض من حين يعقد الى ان يسود و يبيض . وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج .

المحمّض الحامض من العنب اي من أخضره . وحمّض العنبُ .

« حب العنب وعجمه »

تقدم ان الحبة تستعمل في اشياء جمة فيقال حبة من بر وحبة من عنب وان الحُبَة كثبة حبة العنب ايضاً [٢] وقال الاصمعي الخُبَة الحب الذي في جوف الحبّة من العنب . وقال : حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .

العَوْز بالفتح حب العنب واحدته عوزة .

الهُبْر والهُبْرة حب العنب ذكره في التاج وقال الصاغاني فيه نظر .

العُجْد والعُنْجُد حب العنب وقيل حب الزبيب وقيل هو اردؤه . وفي التاج العجد بالضم الزبيب وحب العنب وبفتح كالعنجد والعنجد . وفيه والعجد بالفتح حب الزبيب كالعنجد . وعنجد العنب صار عنجداً . وحاكم اعرابي رجلاً الى القاضي فقال بعت به عنجداً مذ جَهْر فغاب عني . الجهر قطعة من الدهر .

الأصمعي عن الخليل الفرصِد والفِرصيد حب الزبيب والعنب . وهي لغة اهل الطائف . وفي اللسان الفِرصِد والفِرصيد والفِرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العنجد ايضاً

---

(١) وقد أشرنا عند الكلام على الزمع الى ما وقع في عبارة اللسان والاصمعي وغيرهما من الخطإ والتحريف .

(٢) وان الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف فيقال الحبة كثبة . وفي المخصص ويسمون ايضاً ما في جوف الهَبْرة الخُبّة ضبط فيه بالشكل لهبرة بفتح الهاء وضريح القاموس انها مضمومة وضبط الخبة بالخاء المعجمة المضمومة ولم أر من ذكرها بهذا المعنى ولعلها الحبة بالحاء المهملة .

الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة اخواتها من الحب فنتأت وظهرت وارتفعت . وفي الحديث انه ذكر الدجال فقال كأن عينه عنبة طافية فسرها ابوالعباس بما تقدم وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها .

الخَدْلَة بالفتح الحبة الضئيلة من العنب وهي الصغيرة القميئة من آفة او عطش . والجمع خِدال وخدالتها استدارتها كأنها طويت طياً .

الحَمْنان الحب الصغار بين الحب العظام ونوع من العنب وسيأتي .

الهُرور الهُرْهور بالضم فيهما ماتناثر من حب عنقود العنب في اصل الكرم . قال أعرابي مررت على جفنة وقد تحركت سروغها بقطوفها فسقطت أهرارها فأكلت هُرهورة فماوقعت ولاطارت (الجفنة الكرمة ، والسروغ قضبانها ، والقطوف العناقيد . ويقال لما لاينفع ماوقع ولاطار) .

وفي المخصص الهَرْهور والهَرور ما تساقط من حمل الكرم قبل ادراكه وقد ضبط فيه الهَرور بفتح الهاء بالشكل وكذلك في لسان العرب وهو ظاهر اطلاق القاموس لكن قال في التاج ضبطه الصاغاني بالضم وزاد والهرورة . ونقل في التكملة عن الاصمعي الهرور والهرورة والهرهورة قال وهو ماتساقط من الكرم من عنبه الردي . وهرَّ يَهُرُّ هَرّاً أكل هرور العنب .

الجَثِيث ماتساقط من العنب في اصول الكرم . وما غرس من فراخ النخل ولم يغرس من النوى . وقيل الفسيل واحدته جثيثة . والمِجَثَّة والمِجْثاث بكسرهما حديدة يقلع بها الفسيل . والجَثّ انتزاع الشجر من اصوله .

القَثِيث مايتناثر في اصول شجر العنب .

الرُّوَاء ما تساقط من حب العنب في اصول حبله وضمر .

وَمَرَق حب العنب يمرُق مروقاً انتشر[1] من ريح او غيره .

الخُراطة بالضم ماسقط من العنقود حين يخترط يقال خرط العنقود خرطاً واخترطه اختراطاً وضعه في فيه واخرج عمشوشه عارياً . وقال ابو الهيثم خرطت العنقود خرطاً

---

(١) كذا في اللسان وفي التاج انتثر .

اذا اجتذبت ما عليه من العوز وهو الحب بجميع اصابعك حتى تنقيه من عوده وذلك الخرط وما سقط منه عند ذلك هو الخراطة ·

العُثمرة بالضم من العنب ما امتص ماؤه وبقي قشره · وفي الأصمعي وقشرة الهبرة اذا امتص ماؤها وبقي حبها وجلدها العثمرة ·

ويقال ماذقت أكالا ولا لَماجا ولا شَماجا[1] اي ما أكلت شيئاً واصله ما يرمى به من العنب بعدما يؤكل · والأكال مايؤكل والأُكُل بالضم ثمر النخل والشجر وكل مايؤكل فهو أكل وآكل الشجر والزرع اطعم ·

الشحم ككتف من العنب القليل الماء الغليظ اللحاء · وفي كتاب الاصمعي تقول العرب في العنب انه لشحم اذا كان ريانا[2] ·

الضمير كأمير العنب الذابل · ضمر فهو ضمير وذلك حين يتغير وفيه الماء · يقال اطعمونا من ضميركم · وقيل الضمير ماضمر من العنب فليس عنباً ولا زبيباً · وفي المخصص اذا ذبل العنب سمي الضمير فينضد في الجرين خصلة خصلة فاذا جفت اعاليه قلب فاذا جف كله ضرب بالخشب ثم ذري في مكانه حتى يتبين الحب في الثفاريق ·

الاصمعي قالوا حشف العنب ضامره مثل حشف التمر ·

ويقال أقلَبَ العنبُ اذا يبس ظاهره فحول وقلب[3] لييبس باطنه ويقال جَبَذَ العنبُ يجبِذ اذا صغر وقف · وفي الاصمعي ربما كان العنب جابذاً وقد جبذ يجبذ اذا كان صغيراً مشققاً وقف ورقه · وفي المخصص جبذ العنب يجبذ اذا كان صغيراً متقففاً يعني منقبضاً · « للبحث صلة »

سليم الجندي

عضو المجمع العربي

---

(١) هكذا ذكرت في عبارة بعض الأئمة ولم ار من ذكر شمج · ولعلها محرفة ·

(٢) كذا في الاصل وصوابه ريان · (٣) يقال قلب الخبز ونحوه يقلبه قلباً اذا نضج ظاهره فحوله لينضج باطنه واقلبه لغة ضعيفة · وأقلبت الخبزة حان لها ان تقلب والمِقلَب كمنبر الحديدة التي تقلب بها الارض للزراعة ·

الفاظ عربية لمعانٍ زراعية

- ٩ -

حرث الارض على اشكال منها شكل يسمونه في بلادنا « النقب » وهو ان تكون الارض حرجة اوغيلاً اوعيصاً اومرجاً اوموآتاً لم تعمر بعد فتقطع أشجارها وتكسر اوتنقل أحجارها ثم تحرث في عمق اربعين سنتيمتراً على الاقل وقد يبلغ المحراث اوالمرستين سنتيمتراً أحياناً . فشق الارض المذكورة لاتخاذها حرثاً يسمى بالفرنسية (Défoncement) وقد وجدت في المخصص ان ما يقابل ذلك بالعربية مع التوسع هو الخَرْق يقال خرق الارض خرقاً شقها للحرث (اي لجعلها حرثاً وهي الارض المصلحة للزرع) .

ومجموع الأعمال التي تجعل الارض حقلاً اي قراحاً طيباً صالحاً للزرع مثل قطع الشجر وحرق الشوك وابادة الاعشاب بالحرث وتفتيت الصخور بالبارود اوالديناميت تسمى احياء الارض واعمارها و بالفرنسية (Défrichement) .

والمواد التي يضيفها الأكارون الى الارض على قسمين الاول يراد به تزييد العناصر الغذائية في التراب فيشتد النبات المزدرع ويغزر محصوله . والثاني يراد به تقليل اندماج التربة الطينية فيسهل على جذور الزرع اختراقها والتغلغل بين ذراتها سعياً وراء العناصر الغذائية اللازمة للنبات . فمن المواد الاولى الزبل (السرجين والدبال) والاسمدة المعدنية والكيماوية وامثالها . ومن المواد الثانية الكلس والرمل وغيرهما .

فالتسميد هو استعمال سماد ما من الأسمدة المختلفة وهو بالفرنسية (Engraisser) والسماد هو (Engrais) اما استعمال الزبل والدبال والسرجين فهو الزَّبْل والدَّبْل والسرجنة [١] وهو بالفرنسية (Fumer) . واما اصلاح الارض المندمجة فهو الدَّمْل والدَّمَلان . فقد جاء في المخصص « دمل الارض بالدُّمال أصلحها به وذلك اذا كانت مدرتها لازبة مستحصفة فدملت لتسلس وترخو على عروق النبات » ويتضح من هذا التعريف ان الدمل والدملان هما أصلح ما يكون للفظة (Amendement) الفرنسية .

---

(١) انظر مادة دَمَل في القاموس .

وعناقيد العنب من حيث كثافة الحب على قسمين قسم تكون فيه الحبات كثيفة متراصفة وآخر تكون فيه متفرقة فالاول هو العنقود المكتنز والمتداحس والمتراصف الحب و بالفرنسية (Grappe serrée) والثاني هو العنقود المتشلشل والمتفرق الحب ويسمونه بالفرنسية (Grappe lâche) .

وتطلق هذه الألفاظ على غير عناقيد العنب كسنابل الحنطة مثلاً اذ منها السنابل المكتنزة والمتداحسة والمتراصفة الحب ومنها على العكس السنابل المتشلشلة والمتفرقة الحب وكل ذلك يختلف باختلاف الاصناف الزراعية في نوعي الكرمة والحنطة وغيرهما .

وتكون حبة العنب في بعض أصناف الكرمة قليلة الماء كثيرة اللحم كحب العنب البلدي مثلاً في دمشق فهو قليل الماء غليظ اللحاء . فالحب الذي يكون متحلياً بهذه الصفة يسمى العنب الشَحِم و بالفرنسية (Raisin charnu) .

وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمونه (العومي والعواس) وهو اكثر الأصناف انتشاراً ويظهر انه قديم فقد ورد في الامهات ان العوس ضرب من الغنم وانها الكباش البيض وان الكبش العومي منسوب اليها .

واشهر عروق الضأن في العالم الصنف المسمى (Mérinos) وشهرته منبعثة عن جودة صوفه وغزارته وهو يغطي حتى جبين النعجة وخديها و يبلغ رأس منخرها أحيانا . والصوفة متينة مرنة جداً ربما دقت فلم يزد ثخنها على ١٠ — ١٥ في الالف من المليمتر .

والذي يهمنا ذكره مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ، ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين المغاربة المشهورين . ذلك انه عرق المغرب الأصلي جوّده العرب بعد نقله الى الاندلس منذ سطعت أنوار مدنيتهم فيها واستعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في انحاء اوربة وافريقية والشرق العربي . ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب فسموه مرينوس نسبة الى بني مرين . وهو اليوم اكثر عروق الضأن انتشاراً ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل منها . ومن صوفه تصنع أنسُج الجوخ الدقيقة الحوك .

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

ملاحظات

« على نشوار المحاضرة »

لما عزم المجمع على طبع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة في مجلد هذه السنة، ألف من بعض أعضائه لجنة لتصحيح أغلاطه وضبط كلماته وتعليق تفسير موجز عليها . وقد قامت اللجنة بما وكل اليها من هذا الامر، ولم يكد يصدر الجزآن الأولان من المجلة وفيها طائفة من كتاب النشوار حتى انبرى بعض اهل الفضل لنقدنا في بعض ما علقناه على الكتاب من تأويل وتفسير، وكان أسبقهم الى ذلك الاستاذ السيد رشدي الحكيم، ثم نشرت مجلة لغة العرب العراقية عدة مقالات ضمنتها نقداً وتخطئة لنا في ما علقنا وفسرنا . لكن هذه المجلة أطالت في التعليق والمؤاخذة حتى شملت مؤاخذتها الأغلاط المطبعية واكثرها ناشئ عن سقوط الحروف وتكسرها وهي مما لا دخل له في عبارة الكتاب، ومن العادة ان تصحح في آخر كل سنة . فما كان ينبغي تطويل الكلام في التنبيه عليها حتى أدى هذا التطويل الى اطّراح النظر في النقد بالجملة . ومن ذلك ايضاً ان اللجنة كانت تدع بعض كلمات الكتاب على حالتها من الاملاء محافظة على شكل المخطوط الاصلي من جهة — ولنبين من جهة ثانية عادة نساخ ذلك الزمان في كتابة ما يكتبون، وقد اعتاد بعض المستشرقين كثيراً ان يفعلوا ذلك في المخطوطات القديمة التي ينشرونها، مثال ذلك : ان نسخة النشوار كتبت فعل (يكنى) هكذا (يكنا) بالالف فكنا أحياناً كثيرة نتركها ونترك أمثالها من خطإ الإملاء على حاله للسببين المذكورين . وكثيراً ما ذكر المنتقدون أشياء تحتمل وجهين وقد رجحنا نحن أحد الوجهين وأهملنا التنبيه الى احتمال الوجه الآخر فراراً من إكثار الشرح والتعليق على القارئ . فيأتي احد المعترضين ويذكر الوجه الآخر الذي تركناه . ويرجحه على ما ذكرناه . مع أن هذا الرأي قد يكون ذكره احدنا . لكننا اخيراً اعتمدنا الرأي الآخر . وهكذا من الاسباب التي دعتنا الى تصحيح ما صححنا . وتفسير ما فسرنا . واعتماد ما اعتمدنا . على اننا لا ننكر ان كثيراً مما اعترض عليه المعترض أصح وأصوب مما ذهبنا اليه . وربما نبهنا عليه في مقال خاص نلحقه في كتاب النشوار بعد تجريده

وطبعه على حدة ، اما الآن فرأينا ان ننشر ما أرسل به الينـا الفاضل السيد رشدي الحكيم شاكرين له اهتمامه وعنايته ·

« لجنة التصحيح »

* * *

وهذا نص ما أرسله الينا :

خطر لي بعض ملاحظات على ما نشر في الجزءين الاول والثاني من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العربي من كتاب نشوار المحاضرة اوردها فيما يلي :

(١) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة الـ ١٥ : « وتقلد ديوان زمام الخراج » بتقديم الديوان على الزمام وعلقت المجلة على هذه العبارة بانها هكذا وجدت في الاصل · وأرى أنه لو لم يتكرر في الكتاب هذا التركيب لكان ثمة مجال للظن بان الخطأ من الناسخ ولكن مجيء كلمة الزمام وبصيغة الجمع في موضع آخر من الكتاب يفهم منه ان كلمة الزمام في ذاك العصر كانت تطلق على احد أوضاع الحكومة فقد جاء في الصفحة الـ ٨٠ من الكتاب : « وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة » ·

(٢) جاء في السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٠ : « وجد الموفق ، وانفذ اليه المعتضد في الجيش » · وقد علقت المجلة ايضاً على كلمة (جد) ما يفيد التردد وربما كان هذا التعليق لمجيئها بدون مفعول ولم أر في حذف مفعول جد موضعاً للاشكال فكثيراً ما يحذفون المفعول لدلالة الكلام عليه والمفعول هنا مفهوم من سياق الكلام والمعنى جد في محاربته او في السير اليه كما حذف في قولهم « من جدّ وجد » ·

(٣) جاء في السطر الـ ٤ من الصفحة الـ ٨٥ : « وكان علي بن عيسى اذ حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار — على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل — عشرة آلاف دينار » · والجملة غير مفهومة على هذا الشكل وقد علقت عليها المجلة بانهـا هكذا في الاصل وفي تاريخ الوزراء · وأرى ان زيادة الهاء في (استسلفه) من خطإ الناسخ ولو حذفت لاستقام المعنى وتكون عشرة الآلاف مفعولاً ثانياً لاستسلف ·

(٤) جاء في السطر الـ ٣ من الصفحة الـ ٨٩ ما يأتي : « فوعدته بها وادفعه اياماً » · وقد علقت مجلة المجمع على كلمة (وادفعه) بان الظاهر (ودافعته) في حين ان استعمال المضارع في معنى الماضي كثير في كلامهم ومنه قول تأبط شراً :

فأضربها بلا دهش نخرت صريعا لليدين وللجران

(٥) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة ٨٧ : « وليس معه من اصحابه كثير احد » وقد علقت عليها مجلة المجمع العلمي « لعل صوابه الكثيرين احد » . وأرى ان ليس في عبارة الكتاب شيء وكلمة احد كثيراً ما تستعمل بمعنى جماعة بعد النفي و يراد بها جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه كقوله تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله) اي بين جمع من الرسل (فما منكم من احد) من جماعة ، (لستن كأحد من النساء) كجماعة من النساء[1] .

(٦) جاء في السطر الـ ١١ من الصفحة الـ ٨٩ : « والقارية ساجة عظيمة » . و يغلب على ظني ان القارية هنا نسبة الى القار والقار كان يطلى به الخشب صيانة له عن الرطوبة و يظهر انهم كانوا في ذاك العصر يطلقون القارية على خشبة عظيمة مطلية بالقار .

وحبذا لو طبع هذا الكتاب على حرف أحسن من هذا الحرف ووضع بين الجمل فواصل وصرفت عناية أتم في تصحيح الرواميز فقد جاء فيه غلطات مطبعية كان من حق مجلة المجمع ان لا تتهاون عنها ، فقد جاء في السطر الـ ١٥ من الصفحة الـ ٧٧ « بعد ان كشف للوزير » والصواب « اكشف » بصيغة المتكلم .

وفي السطر الثاني من الصفحة الـ ٧٩ «لاتهلكي جذعاً» بالذال والصواب «جزعاً» بالزاي .

وفي السطر التاسع من الصفحة الـ ٧٩ « ديون المغرب » والصواب « ديوان » .

وفي السطر الثاني من الصفحة الـ ٨٢ «وقيع» بالواو والصواب «رقيع» بالراء .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة الـ ٨٢ « ماعمله ابي الفرات » والصواب « ما عمله ابن الفرات » وان كانت هذه الغلطة من الاصل فكان ينبغي الاشارة اليها في الهامش » .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة الـ ٨٦ « فأقبل عليّ صاحب الديوان » بتشديد الياء والصواب « فأقبل على صاحب الديوان » بدون تشديد .

وفي السطر الـ ١١ من الصفحة الـ ٩١ « عرضون عمالهم » والصواب « يعرضون أعمالهم » جمع عمل .

وان مجلة المجمع العلمي تشكر كل الشكر على نشر هذا المخطوط النفيس الذي

(١) كليات ابي البقاء مادة (احد) .

يستفيد منه القاريء فوائد شتى في الادب والانشاء والاجتماع والتاريخ وهو مرآة جلية لاوضاع الحكومة في ذاك العصر وأحوالها وطرز ادارتها ·

مخطوطات قديمة نفيسة

كتب العلامة كرنكو من جامعة عليكرة الى رئيس المجمع العلمي العربي كتاباً جاء فيه : انه قرأ مقالة الرئيس (التدوين في الاسلام) وقرأ ما كتبه العلامة الامير شكيب أرسلان على (كتاب الاكليل للهمداني) وقال ان الامير أهمل ذكر نسخ من الاكليل هي أقدم من التي ذكرها وهو الجزء الثامن المحفوظ في المتحف البريطاني رقم (١٣٠٥) كما ان في هذا المتحف مخطوطين آخرين من هذا الكتاب · و يظن ان خزانة لوندرة هي التي احتفظت وحدها بالمخطوط الفذ من المجلد الرابع (في أنساب همدان وبكيل) وقد اكد له الامير احمد اخو سلطان لحج ان مخطوط الجزء الثامن منتشر جداً في اليمن · وبما ان الاستاذ كرينكو عازم على طبع المجلدين المذكورين فقد باشر استنساخها وانه لاحظ انالهمداني قد ذكر في مجلده الثامن فصلاً في مدافن (قبوريات) ملوك اليمن الأقدمين وهذا الفصل منقول عن (كتاب التيجان) الذي طبعه الاستاذ كرنكو · وانه يصحح اليوم (كتاب الفتن) لحماد · والعجيب انه وردت فيه عدة أحاديث دوّنت بامر عبد الله بن عمرو بن العاص على ورقة من البردي محفوظة في (هيدلبرغ) بالمانيا فلا ريب انها كتبت قبل سنة ١٠٠ ه وهذا دليل على انهم كانوا يصنعون الكتب في ذاك التاريخ · وقال انه قرأ في (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني وهو من مخطوطات مكتبة الاسكوريال ان المؤلف يملك نسخة كتبت في زمن عبد الملك بن مروان وفيها بيان الأسمار وقد أوردها بالتفصيل وسيطبعه الاستاذ مع ترجمة انكليزية· ويحوي هذا الكتاب اخباراً قيمة في تاريخ افغانستان والهند · وسيصدر الاستاذ قريباً كتاب (حكمة العين) لابن الهيثم البصري · وقد عثر في مدينة (لكهنو) الهند على نسخة نفيسة من تاريخ دمشق كتبها البرزالي المؤرخ الدمشقي ·

مطبوعات حديثة

كتاب الاعتبار

« لأسامة بن منقذ نشره السيد فيليب حتي وطبعه في مطبعة جامعة برنستون »
« في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ ص ٢٤٠ »

سبق لناشر هذا الكتاب وهو من اعضاء المجمع العلمي العربي واحد أساتذة جامعة برنستون ان نشر كتابين من كتب العرب قبل هذا وهو (١) مختصر كتاب الفرق بين الفرق لمختصره عبد الرزاق الرسعني ، والاصل لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . (٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي . وكلاهما لايعدان في كتب الدرجة الاولى التي تشتد حاجة العلم والأدب الى احيائهما . فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره ، اما نظم العقيان ففائدته قليلة ايضاً خلافاً لكتاب طبقات النحاة للسيوطي فان هذا حوى من الفوائد ما عدَّ بها من الامهات التي لايستغنى عنها ، اما هذا الكتاب الثالث فما ندري السبب الذي حمل محرره على نشره ثانية بعد ان أحياه بالطبع في سنة ١٨٨٩ في ليدن العلامة المرحوم هرتويغ درنبورغ من علماء المشرقيات في فرنسا ونقله الى الفرنسية ونشره سنة ١٨٨٩ وذلك عن نفس المخطوط المحفوظ في خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا الذي كان نقله الاستاذ درنبورغ .

لا جرم ان في خزائن الغرب والشرق الوفاً من المخطوطات العربية حرية بالنشر لمن أراد الخدمة اكثر من نشر كتب تافهة او اعادة ماطبع منها . وقد قدم الناشر لطبعة كتابه الثانية مقدمة وصف بها الكتاب وترجم لمؤلفه ، وذكر منشأه وفوائد كتابه المعجب الذي حوى صورة بديعة من صور عصره عصر الحروب الصليبية ، ودوّن فيه جملة من أخلاق قومه وأخلاق القادمين عليهم من الافرنج وفروسيتهم وجهلهم وعاداتهم وقص فيه أقاصيص وخرافات وغرائب ونوادر ، وألمّ بصيوده ونزهاته ورحلاته مما تجلت به روح اهل بيته أصحاب قلعة شيزر (يقال لها سيجر اليوم وهي على العاصي قرب حماة) ولم يزد الناشر الثاني على طبعته سوى عناوين للفصول ووقفات ليجعل طبعته على

أسلوب جديد ٠ اما ماسها عنه العلامة الناشر الاول وهو أعجمي فان الناشر الثاني وهو عربي لم يقلّ عنه هفوات خصوصاً في المقدمة ففيها من كبوات البيان ما لا يتناسب مع لغة التأليف اليوم ذلك لان اللغة التي كان السوريون يكتبون بها منذ خمسين سنة لا يستحب ان يكتب بها لعهدنا ، وقد رأينا كيف يجوّد اهل الاختصاص من المصريين تآليفهم بحيث تجيء متسقة جيدة النسج والوضع ٠ وكل كتاب يكتب بعد الآن بغير أساليب العرب ومناحيهم لا يرجى له البقاء ، فعسى ان ينشر الاستاذ حتّي بعد الآن من مؤلفات العرب ما نفاخر به جامعة برنستون ، وان يحذو حذو الغربيين من علماء المشرقيات يوم تتعلق هممهم باحياء اثرنا ٠ فقد نشرت جامعة شيكاغو مثلاً الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعناية العلامة جويت ، ونشرت جامعة كليفورنيا بعناية العلامة پوپر كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ونشرت جامعة نيويورك بعناية العلامة كونيغ ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة لابي عمر الكندي ، ونشرت جامعة يال بعناية العلامة فوري كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن اعين القرشي ، ونشرت بعض جامعات اميركا بفضل علماء المشرقيات فيها آثاراً نافعة من هذا القبيل اطلعنا بها على ما كان مدفوناً من أسرار تاريخنا وأدبنا فازدادت بها ثروتنا العلمية والادبية ٠ ونظن ان في جامعة برنستون وفيها ٢٥٠٠ مخطوط عربي اسفاراً أحق بالعناية من نشر كتابين تافهين وآخر سبق غيرنا فعني بحل طلاسمه ٠ م ٠ ك

نور الاسلام

هذه « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكمية » تصدرها مشيخة الازهر الشريف اول كل شهر عربي ويقوم بتحريرها طائفة من اعلام العلماء أمثال الشيخ حسن منصور والشيخ محمد الخضر حسين والسيد عبد العزيز محمد والشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وغيرهم من المنورين المشهورين بين علماء الدين ٠ وقد حوت هذه المجلة ابحاثاً ونبذاً علمية ودينية تنير الفكر وتلقن لباب الدين باسلوب رائع عصري تتذوقه النفوس ويرتاح الى مضامينه المؤمنون وغيرهم ٠ وان في تجرد هذه المجموعة المفيدة عن النزعات

السياسية والنزعات الحزبية اكبر ضامن لانتشارها بين عامة الطبقات فنرجو لها دوام الانتشار ليستفيد الناس مما تنشره وتتلطف في إشرابه القلوب . وقيمة اشتراكها خارج القطر المصري ٥٠ قرشاً صحيحاً ولطلبة المعاهد والمدارس ٣٠ . م . ك

ذخيرة المتأدب

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ ادوارد مرقص من اعضاء المجمع العلمي ، ومن تصفح كتابه هذا (ذخيرة المتأدب) أدرك مبلغ ولع الاستاذ باللغة وآدابها وحرصه على تلقين مسائلها للطلاب . وقد قسم كتابه الى ستة أبواب : ضمن الاول الفاظاً كتابية اي طائفة كبيرة من فصيح اللغة الخليق بالاستعمال والتداول ، وضمن الباب الثاني نبذاً مختلفة في الأدب . وطائفة من جوامع الكلم اقتبسها من القرآن والحديث وكلام فصحاء العرب وهكذا حتى الباب السادس فأتى فيه على ذكر لمحة من نوادر الفصحاء مما فيه فكاهة وفائدة معاً . وقد عقد في الباب الثاني فصلاً جمع فيه كثيراً من الألفاظ التي لها معناها الفصيح لحولته العامة الى معان أخر : من ذلك :

(استوى) في الفصيح تساوى . وتستعمله العامة بمعنى (نضج الطعام) .

(طفر) وثب من أسفل الى اعلا . وعند العامة بمعنى (أفلس) .

(بهلول) السيد الجامع لكل خير . وعندهم بمعنى (أبله) .

(الحمق) ضعف العقل . وعندهم بمعنى (الغضب) .

(شاطر) خبيث محتال . وعندهم بمعنى (الحاذق الماهر) .

(عبد) الرقيق زنجياً كان اوغير زنجي . وعندهم (الزنجي) رقيقاً كان او غير رقيق .

هذا وفي الكتاب فوائد لغوية من نمط ماذكرت ، يجدر بمحبي اللغة الاطلاع عليها واستعمالها فتحيى وتنتشر . ومع هذا ففي الكتاب شعر ونثر مما ينشر عادة في صحف الاخبار ليس من الفصاحة والبلاغة في قليل ولا كثير ولا يدخل تحت عنوان الكتاب (ذخيرة المتأدب) فياليت المؤلف جرد كتابه منه . على انه قليل بالنسبة لما في الكتاب من الفوائد .

« المغربي »

شرح الارجوزة بالرجز

للمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي أرجوزة في قواعد اللغة اعتمدت عليها المدارس حيناً من الزمن وقد خدمها نجله اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم بشرح وضعه عليها اكثر فيه من الشواهد والأمثلة التي ساعدت على كشف ما أبهم من الأرجوزة · وقد عمد الاستاذ نجيب فرج الله فياض الى شرح الشيخ ابراهيم فنظمه كله رجزاً ايضاً في عدة كراريس · وقد توخى فيه محاكاة المتن الاصلي لجاء عمله دليلاً على فضله وجلده · على ان تأليف القواعد العلمية بالنظم كان طريقة قديمة عدل عنها حتى الازهريون أنفسهم ، لكن المؤلف خطر له الرجوع اليها واثقاً بسهولة نظمه وتقريب القواعد من أذهان الطلاب كي يسهل عليهم حفظها وتناولها عن كثب حين الحاجة اليها وقد صدر منه الى اليوم الجزء الاول وهو يتضمن ثلاث كراريس والجزء الثاني · (المغربي)

الري في غوطة دمشق

— نشر في مجلة الابحاث الاسلامية —

Revue des Etudes Islamiques

« تأليف رنه تريس طبع باريز سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٨٤ »

L' Irrigation dans la Ghouta de Damas René Tresse
Paris 1929

ضمن المؤلف كتابه هـذا أبحاثاً عن الري في غوطة دمشق ونهر بردى وفروعه وشيئاً قليلاً من تاريخه وذكر لنا نماذج من اصول الري المعروفة اليوم في بعض قرى الغوطة مستنداً على حجج شرعيـة وقرارات مجلس الادارة وحلاه برسوم · فلا يخلو هذا الكتاب من فوائد عديدة فهو في الحقيقة الاول من نوعه وهو بحث شاق لقلة الوثائق التاريخيـة وتبعثر المصادر · غير اني عثرت على اسماء امكنة واعلام محرفة يتعذر على القاريء معرفة اصلها أذكر أهمها مع بعض ملاحظات :

قال في ص ٧٠ : عن نهر (ايانة) انه ورد ذكره في سفر الملوك الخامس مع ان هذا السفر لا وجود له في الكتاب المقدس وصوابه (٢ مل ٥ : ١٢) فان فيه ذكراً لهذا النهر·

وقال في ص٤٨٧ أم الشرافيط صوابها أم الشراطيط . وفي ص ٤٩٤ الحجج الشرعية تؤرخ دائماً بالسنة الهجرية لا الرومية العثمانية كما قال المؤلف . وفي ص ٤٩٥ معضمية صوابها المعضمية او (المعظمية) . وفي ص ٤٩٥ مزرعة الكسور صوابه مزرعة النفور . وقال في ص٥٠٤ شتي صوابه شتوي . وفي ص٥٠٨ عائلة عقيل اقامتها في يبرود لا في النبك . وفي ص٥١٠ جانبا طاوسية صوابه جامع الطواويسية . وقال في ص ٥١١ من العرب صوابه من القصب (مسجد الاقصاب) . وفي ص٥١٣ حماره صوابه حمورة . وفي ص٥١٣ بيت مسروا صوابه بيت سوا . وفي ص٥١٤ بيت سحن صوابه بيت سحم . وفي ص٥١٥ المنخرة صوابه المناخلية . وفي ص٥١٥ الفراجين صوابه الفرايين . وفي ص ٥١٧ صوارف صوابه صوّاف . وفي ص٥٢٧ السكاكي صوابه السكاكري . وفي ص٥٢٨ خيالين صوابه الخياطين . وقال في ص٥٤٤ ان الدخان لا يزرع في الغوطة مع انه يزرع فيها ولاسيما في قرية كفرسوسة وغيرها .

وقد نبهنا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي الى انه عثر في الكتاب على نحو خمسين غلطة ، منها قوله : ان الدونم (٨٣٣) متراً مربعاً مع انه (٩١٩) متراً مربعاً وقوله ان الفدان الخطاط يساوي ٧٥٢ متراً مربعاً مع انه يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً وذكره احصاآت في المساحات التي تسقى بمياه بردى يبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً الى غير ذلك مما يجب تلافيه في الطبعة الثانية .

« جعفر الحسني »

موجز

« في الصكوك الجزائية »

هذا الكتاب هو خلاصة المحاضرات التي القاها كل من الاستاذين فارس بك الخوري ومحمود بك النحاس على طلاب الصف المنتهي في معهد الحقوق بدمشق .

وهو كتاب لا يستغني عنه رجال الحقوق من قضاة ومحامين وفي شهرة الاستاذ الخوري ومقدرة الاستاذ النحاس مايكفل لهذا الكتاب الرواج والاعتماد عليه .

عارف النكدي

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

« حرف العين »

« حرف الغين »

« حرف الفاء »

« حرف القاف »

« حرف الكاف »

« حرف اللام »

« حرف الميم »

فهرست الاعلام

«اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم»

—(**)—

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ٢٤ س ٢ ٠٠٠٠ والصواب ما في ٠ وفي ص ٢٦ س ٥ ٠٠٠٠ والصواب في ٠ وفي ص ٢٦ س ٦ ٠٠٠ والصواب يكون اساساً لدرس ٠ وفي ص ٢٦ س ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ٠٠٠٠ نقص عدة حروف من اول السطور ٠ وفي ص ٣١ س ٨ ٠٠٠ والصواب الذي استراحت وفي ص ٣١ س ١٠ ٠٠٠ والصواب سوى هذه الطرق ٠ وفي ص ٥٩ س ١٨ ٠٠٠ والصواب عم ٠ وفي ص ٧٧ س ١٥ كشف والصواب اكشف ٠ وفي ص ٧٩ س ٢ جذعاً والصواب جزعا ٠ وفي ص ٧٩ س ٩ دبون والصواب دبون ٠ وفي ص ٨٢ س ٦ أبي والصواب ابن ٠ وفي ص ٩١ س ١١ عرضون عمالهم والصواب يعرضون أعمالهم ٠ وفي ص ١١٢ س ٥ أ والصواب أي ٠ وفي ص ١١٤ س ٤ باو ساقه والصواب باوساقه ٠ وفي ص ١٢٤ س ١٨ عواطه والصواب عواطفه ٠ وفي ص ١٢٥ س ١٣ قارير والصواب تقارير ٠ وفي ص ١٢٥ س ٢٠ والقر والصواب والقرى ٠ وفي ص ١٢٨ س ١٠ وضمه والصواب وضمنه ٠ وفي ص ١٣٤ س ١٦ هذه ثلاثة عشرة كلمة صوابها هذه ثلاث عشرة كلمة ٠ وفي ص ١٥٣ س ١ وتدرسه والصواب وتدريسه ٠ وفي ص ١٥٥ س ١١ رنا والصواب رنان ٠ وفي ص ١٧١ س ١٧ لرجل والصواب الرجل ٠ وفي ص ١٨٠ س ٦ ونحن اول من صوابها نحن اول من ٠ وس ٨ منها الاب انستانس صوابها الاب انستاس ٠ وفي ص ١٨٣ س ١٨ ولابد لهذا العمل اذ كنا نعم انه صوابها ولابد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه ٠ وفي ص ١٨٥ س ٢٤ داود بن يعقوب والصواب يعقوب بن داود ٠ وفي ص ٢٣١ س ٩ ٠٠٠ والصواب على ٠ وفيها س ٢٣ جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين صوابها جاءت الزلزلة سنة ثنتين وخمسين ٠ وفي ص ٢٣٥ س ٧ وسجنه ثم اعدمه صوابها وسجنه ثم قتله ٠ وفي ص ٢٣٦ س ٢٣ في سنة اثنين وثلاثين صوابها في سنة ثنتين وثلاثين ٠ وفيها س ٢٤ في سنة اثنين واربعين صوابها في سنة ثنتين واربعين ٠ وفي ص ٢٥٥ س ٩ يعرف قارءه صوابها يعرف قارئه ٠ وفيها س ٢٠ يجدونه في اعمل صوابها يجدونه في اعمال ٠ وفي ص ٢٥٦ س ٤ اثني عشر قطعة صوابها اثنتي عشرة قطعة ٠ وفيها س ١٨ بان والصواب أن ٠ وفي ص

٢٩١ س٩ القام صوابها القائم . وفي ص٢٩٣ س١٤ الغرابة صوابها القرابة . وفي ص ٣٠٢ س٨ فضاته صوابها فضائه . وفي ص٣٠٣ س٤ لمقي صوابها بلقي . وفيها س٤ سمته صوابها سمته . وفي ص ٣١٤ س٢ فالرد الصواب فالردى . وفي ص٣٧٢ س٨ نقل الصواب ونقل . وفيها س٨ بعاد الصواب بعد . وفي ص٣٧٥ س٧ قوهقاف الصواب قرهقاف . وفي ص ٣٧٦ س ٢٤ الدرر العثانية الصواب الدرر العمانية . وفي ٣٨٢ س٢٢ اسم الفاعل الصواب اسم المفعول . وفي ص٣٨٦ س١٤ بالمبني الصواب بالمثني . وفي ص٤٢٧ س ١٢. وقد لز الصواب وقد لزم . وفي ص ٤٣١ س١١ وقفنا الصواب وقفنا . وفي ص٥٠٧ س٢٢ هدم الصواب هدماً . وفي ص٥٠٩ س٤ خالطت الصواب خالط . وفيها س٥ لابتناء الصواب لابتناء . وفيها نهضته وادبه الصواب نهضتها وادبها وفي ص ٥١٢ س ١٤ فيكون لهم فيكون لها . وفي ص ٦٠٨ س ١٧ مهدي الصواب مهدي . وفي ص٧٠٩ س٢ تفلست الصواب تفلسفت .

(تنبيه) — معظم الأغلاط في هـذا المجلد ناشئ عن سقوط الحروف وتكسرها مما لا يغيب التفطن اليه عن ذكاء القارئ .